

فصل

[السؤل السابع]

قال السائل : « نرى في دينكم أكثر الفواحش فيمن هو أعلم وأفقه في دينكم كالزنا واللواط والحيانة والحسد ، والبخل ، والفدر والتجبر والتكبر والخيلاء . وقلة الورع واليقين وقلة الرحمة والمروءة والحمية^(١) ، وكثرة الهلع ، والتكالب على الدنيا ، والكسل في الخيرات ، وهذا الحال يكذب لسان المقال ، اهـ .

والجواب من وجوه :

الوجه الأول : أن يقال : ماذا على الرسل الكرام من معاصي أممهم وأتباعهم ؟! وهل يقدح ذلك شيئاً في نبوتهم أو يغير وجه رسالتهم ؟! وهل سُلِمَ من الذنوب على اختلاف أنواعها وأجناسها إلا الرسل صلوات الله وسلامه عليهم ؟! وهل يجوز رد رسالتهم وتكذيبهم بمعصية بعض أتباعهم لهم ؟! وهل هذا إلا من أقبح التعنت ؟

وهو بمنزلة رجل مريض دعاه طبيب ناصح إلى سبب ينال به غاية عافيته ، فقال : لو كنت طبيباً لم يكن فلان وفلان وفلان مريضاً .

وهل يلزم الرسل أن يشفوا جميع المرضى بحيث لا يبقى في العالم مريض ؟ هل تعنت أحد من الناس للرسل بمثل هذا التعنت ؟

الوجه الثاني : أن الذنوب والمعاصي أمر مشترك بين الأمم لم تنزل في العالم من طبقات بني آدم عالمهم وجاهلهم وزاهدهم في الدنيا وراغبهم وأمورهم ومأمورهم ، وليس ذلك أمراً اختصت به هذه الأمة حتى يقدح به فيها وفي نبيها .

الوجه الثالث : أن الذنوب والمعاصي لا تنافي الإيمان بالرسل ، بل يجتمع في العبد الإسلام والإيمان والذنوب والمعاصي ، فيكون فيه هذا وهذا .. فالمعاصي لا تنافي الإيمان بالرسل وإن قدحت في كماله وتمامه .

الوجه الرابع : أن الذنوب تغفر بالتوبة النصوح ، فلو بلغت ذنوب العبد عنان السماء وعدد الرمل والحصى ثم تاب منها تاب الله عليه ، قال تعالى : ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [الزمر : ٥٣] ، وهذا في حق التائب ؛ فإن التوبة تُجِبُّ ما قبلها ، « والتائب من الذنب كمن لا ذنب له »^(٢) ، والتوحيد يكفر الذنوب ، كما في الحديث الصحيح الإلهي : « ابن

(١) الحمية : الأنفة ، والحفاظة على انحراف الدين من التهمة .

(٢) حسن . ابن ماجه في الزهد . باب ذكر التوبة [٤٢٥٠] والسيوطي في الجامع الصغير [١٣٧/١] وصحيح الجامع

للألباني [٣٠٠٨] .

آدم لو لقيتي بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لقيتك بقراها مغفرة»^(١) .
فالمسلمون ذنوبهم ذنوب موحدين ، ويقوى التوحيد على نحو آثارها بالكلية^(٢) ، وإلا فما
معهم من التوحيد يخرجهم من النار إذا عذبوا بذنوبهم .

وأما المشركون والكفار فإن شركهم وكفرهم يحيط حسناتهم ، فلا يلقون ربهم بحسنة
يرجون بها النجاة ، ولا يغفر لهم شيء من ذنوبهم ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ ، وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ [النساء : ١١٦] ، وقال تعالى في حق الكفار
والمشركين : ﴿ وَقَدْ مَنَّا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ نَبْأً مُنْثَوْرًا ﴾ [الفرقان : ٢٣] ،
وقال رسول الله ﷺ : « أبى الله أن يقبل من مشرك عملاً »^(٣) .. فالذنوب تزول آثارها
بالتوبة النصوح ، والتوحيد الخالص ، والحسنات الماحية ، والمصائب المكفرة لها ، وشفاعة
الشافعين في الموحدين ، وآخر ذلك إذا عذب بما يبقى عليه منها أخرجه توحيده من النار ؛
وأما الشرك بالله والكفر بالرسول فإنه يحبط جميع الحسنات بحيث لا تبقى معه حسنة .
الوجه الخامس : أن يقلل لمورد هذا السؤال - إن كان من الأمة الغضبية إخوان القردة -
ألا يستحي من إيراد هذا السؤال من آباؤه وأسلافه كانوا يشاهدون في كل يوم من الآيات
ما لم يره غيرهم من الأمم ؟

وقد فلق الله لهم البحر وأنجاهم من عدوهم وما جفت أقدامهم من ماء البحر حتى قالوا
لموسى : ﴿ أَجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ، قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ [الأعراف : ١٣٨] ،
ولما ذهب لميقات ربه لم يمهله أن عبدوا بعد ذهابه العجل المصوغ ، وغلب أخوه هارون
معهم ولم يقدر على الإنكار عليهم ، وكانوا مع مشاهدتهم تلك الآيات والعجائب يهيمون
برجم موسى وأخيه هارون في كثير من الأوقات والوحي بين أظهرهم !! ولما نذبههم إلى الجهاد
قالوا : ﴿ قَاذِبٌ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَاقْتُلَا إِنَّا هَهُنَا قَاعِدُونَ ﴾ [المائدة : ٢٤] ، وأذوا موسى
أنواع الأذى حتى قالوا : إنه آدر - أى منتفخ الخصية - ولهذا يقتسل وحده ، فاغتسل يوماً
ووضع ثوبه على حجر ففر الحجر بثوبه فعدا خلفه عرباناً حتى نظر بنو إسرائيل إلى عورته
فأروه أحسن خلق الله متجرداً^(٤) .

ولما مات أخوه هارون قالوا : إن موسى قتله وغيبه . فرفعت الملائكة لهم تابوته بين السماء

(١) صحيح . مسلم في الذكر والدعاء . باب فضل الذكر والدعاء ، والتقرب إلى الله تعالى [٢٢] .

(٢) عبارة المخطوطة « ذنوبهم ذنوب موحد إن قوى التوحيد على ... والصواب ما أثبتناه .

(٣) حسن . ابن ماجه في الحدود . باب المرتد عن دينه [٢٥٣٦] والنسائي في الزكاة . باب من سأل بوجه الله عز وجل
[٨٣ ، ٨٢/٥] وأحمد في المسند [٥/٥] والحاكم في المستدرک [٦٠٠/٤] وصحيح الجامع [٧٧٤٨] والسلسلة الصحيحة
[٣٦٩] .

(٤) انظر تفسير ابن كثير [٥٢١ ، ٥٢٠/٣] وقصص الأنبياء للشيخ عبد الوهاب النجار [ص ٢٨١ - ٢٨٩] .

والأرض حتى عاينوه ميتاً^(١)، وآثروا العود إلى مصر وإلى العبودية ليشبعوا من أكل اللحم والبصل والقثاء والعدس . هكذا عندهم^(٢).

والذي حكاه الله عنهم أنهم آثروا ذلك على المن والسلوى .

وانهما كهم على الزنا وموسى بين أظهرهم وعدوهم بإزائهم حتى ضعفوا عنهم ولم يظفروا بهم ، وهذا معروف عندهم ، وعبادتهم الأصنام بعد عصر يوشع بن نون معروف^(٣) ، وتحيلهم على صيد الحيتان في يوم السبت لا تنسه ، حتى مسخوا قردة خاسئين^(٤) ، وقتلهم الأنبياء بغير حق حتى قتلوا في يوم واحد سبعين نبياً ، في أول النهار وأقاموا السوق آخره كأنهم جزروا غنماً وذلك أمر معروف ، وقتلهم يحيى بن زكريا ، ونشرهم إياه بالمنشار ، وإصرارهم على العظام ، واتفاقهم على تغيير كثير من أحكام التوراة ، ورميهم لوطاً بأنه وطئ ابنتيه وأولدهما ، ورميهم يوسف بأنه حل سراويله وجلس من امرأة العزيز مجلس المرأة من القابلة حتى انشق له الحائط وخرجت له كف يعقوب وهو عاض على أنامله فقام وهرب^(٥) . وهذا لو رآه أفسق الناس وأفجرهم لقام ولم يقض غرضه .

وطاعتهم للخارج على ولد سليمان بن داود لما وضع لهم كبشين من ذهب فعكفت جماعتهم على عبادتهم ، إلى أن جرت الحرب بينهم وبين المؤمنين الذين كانوا مع ولد سليمان ، وقتل منهم في معركة واحدة ألوف مؤلفة^(٦) .

أفلا يستحي عباد الكباش والبقر من تعيير الموحدين بذنوبهم؟! أو لا تستحي ذرية قتلة الأنبياء من تعيير المجاهدين لأعداء الله؟! فأين ذرية مَنْ سيُوف آبائهم تقطر من دماء الأنبياء ممن تقطر سيوفهم من دماء الكفار والمشركين؟! وألا يستحي من يقول في صلاته لربه :

(١) انظر تفسير ابن كثير [٥٢٠/٣] وقصص الأنبياء [٢٨٣ ، ٢٨٥] .

(٢) سفر الخروج : الإصحاح السادس عشر . وانظر قصص الأنبياء [ص ٢١٠ ، ٢١١] وتفسير ابن كثير [١٠١/١] ، [١٠٢] .

(٣) سفر القضاة [١١: ٣-٤] . [١٥ : ٥ - ٨ : ٣٥] ، [١٠ : ٦ - ١٦] .

(٤) سفر التثنية [١٢ : ٥ - ١٥ : ٨] والخروج [١٢ : ٨ - ٣٥] ، [٣ : ٣٥] ، وفيما يختص بمسحهم فإن ابن كثير في تفسيره بعد أن يستعرض الآراء المختلفة في تفسير قوله تعالى : « فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين » يقول : « والغرض من هذا السياق عن هؤلاء الأئمة بيان خلاف ما ذهب إليه مجاهد رحمه الله من أن مسحهم إنما كان معنوياً لا صورياً بل الصحيح أنه معنوي صوري والله تعالى أعلم » [١٠٦/١ ، ١٠٧] بينما يذهب ابن عطية في تفسيره إلى أن مسحهم قردة هو الأقوى [٣٠٨/١ ، ٣٠٩] .

(٥) لم تذكر التوراة شيئاً من ذلك ، بل إن كل ما سردته بخصوص هم امرأة العزيز بيوسف لا يخرج عما ورد في القرآن الكريم .

(٦) سفر الملوك الأول [١٢ : ٢٥ - ٣٣] وفيما يختص بالحروب بين رجعمان بن سليمان ويربعام بن ناباط الخارج عليه انظر سفر أخبار الأيام الثاني : من الإصحاح العاشر حتى الإصحاح الرابع عشر .

« انتبه كم تنام يارب استيقظ من رقدتك » ، ينخيه بذلك ويحميه ، من تعير مَنْ يقول في صلاته : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَا لِكَ يَوْمَ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ .

فلو بلغت ذنوب المسلمين عدد الحصى والرمال والتراب والأنفاس ما بلغت مبلغ قتل نبي واحد ولا وصلت إلى قول إخوان القردة : ﴿ إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنَاءُ ﴾ [آل عمران : ١٨١] ، وقولهم : ﴿ عَزَّزْتُ ابْنَ اللَّهِ ﴾ [التوبة : ٣٠] ، وقولهم : ﴿ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ ﴾ [المائدة : ١٨] .

وقولهم : « إن الله بكى على الطوفان حتى رمد من البكاء وجعلت الملائكة تعود » ، وقولهم : « إنه عض أنامله على ذلك » ، وقولهم : « إنه ندم على خلق البشر وشق عليه لما رأى من معاصيهم وظلمهم » وأعظم من ذلك نسبة هذا كله إلى التوراة التي أنزلها على كلميه . فلو بلغت ذنوب المسلمين ما بلغت لكانت في جنب ذلك كتفلة^(١) في بحر .

ولا تنس قصة أسلافهم مع شاول الخارج على داود ، فإن سوادهم الأعظم انضم إليه وشدوا معه على حرب داود ، ثم لما عادوا إلى طاعة داود وجاءت وفودهم وعساكرهم مستغفرين معتذرين بحيث اختصموا في السبق إليه فنبغ منهم شخص ونادى بأعلى صوته : « لا نصيب لنا في داود ولا حظ في ابن يسي ، ليمض كل منكم إلى خبائه يا إسرائيليين » فلم يكن بأوشك من أن ذهب جميع عسكره بنى إسرائيل إلى أخبيتهم بسبب كلمته ، ولما قتل هذا الصائح عادت العساكر جميعها إلى خدمة داود ، فما كان القوم إلا مثل همج رعاع يجمعهم طبل ويفرقهم عصي!!^(٢)

فصل

دين اليهود

وهذه « الأمة الغضبية » وإن كانوا مفترقين افتراقاً كثيراً فيجمعهم فرقان « القراؤون والربانيون » وكان لهم أسلاف فقهاء وهم صنّفوا لهم كتابين : أحدهما يسمى « المشنا » ومبلغ حجمه نحو ثمانمائة ورقة ، والثاني يسمى « الجمارا »^(٣) ومبلغه قريب من نصف حمل بغل ، ولم يكن المؤلفون له في عصر واحد وإنما ألفوه في جيل بعد جيل ، فلما نظر متأخروهم

(١) الثقل : القليل . يقال : ما أصاب منه إلا تفلأ : أي طفيفاً .

(٢) القصة التي ذكرها المؤلف وردت في سفر الملوك الأول وفي أخبار الأيام الثاني ، حدثت بين يريعام بن نباط وبنى إسرائيل من جانب ورجعهم بن سليمان جانب آخر [الملوك الأولى ١٢ : ٣ ، ١٢/٤ - ١٤ : ١٦ - ١٦ / الأيام الثاني ١٠ : ٣/٤ ، ١٠ : ١٦ ، ١٥ : ١٦] وعلى عكس ما ذكر المؤلف فإن نبي إسرائيل قد تفرقوا حتى اليوم . [الملوك الأولى ١٢ : ١٦ ، ١٠ : ١٦] .

(٣) : اصطلاح « التلمود » والصواب ما أثبتناه ، انظر التعليق الآتي .

إلى ذلك وأنه كلما مر عليه الزمان زادوا فيه ، وفي الزيادات المتأخرة ما ينقض كثيراً من أوله ، علموا أنهم إن لم يقفلوا باب الزيادة وإلا أدى إلى الخلل الفاحش فقطعوا الزيادة وحفظوها على فقهاءهم وحرموا من يزيد عليه شيئاً فوق الكتاب على ذلك المقدار^(١) . وكان فقهاءهم قد حرّموا عليهم في هذين الكتابين مؤاكلة من كان على غير ملتهم ، وحفظوا عليهم أكل اللحمان من ذبائح من لم يكن على دينهم ، لأنهم علموا أن دينهم لا يبقى عليهم مع كونهم تحت الذل والعبودية وقهر الأمم لهم إلا أن يصدّوهم عن مخالطة من كان على غير ملتهم ، وحرّموا عليهم منّاكحتهم والأكل من ذبائحهم ، ولم يمكنهم ذلك إلا بحجة يتدعونها من أنفسهم ويكذبون فيها على الله .

فإن التوراة إنما حرمت عليهم منّاكحة غيرهم من الأمم لثلا يوافقوا أزواجهم في عبادة الأصنام والكفر بالله^(٢) ، وإنما حرمت عليهم أكل ذبائح الأمم التي يذبحونها قرباناً للأصنام لأنه سمي عليها غير اسم الله^(٣) فأما ما ذكر عليه اسم الله وذبح لله فلم تنطق التوراة بتحريمه البتة بل نطقت بإباحة أكلهم من أيدي غيرهم من الأمم ، وموسى إنما نهاهم عن منّاكحة عباد الأصنام خاصة وأكل ما يذبحونه باسم الأصنام .

قالوا : التوراة حرمت علينا أكل « الطريفا » ، قيل لهم : « الطريفا » هي الفريسة التي يفترسها الأسد أو الذئب أو غيرها من السباع . كما قال في التوراة : « ولحم في الصحراء فريسة لا تأكلوا ، للكلاب تطرحونه »^(٤) .

فلما نظر فقهاءهم إلى أن التوراة غير ناطقة بتحريم مآكل الأمم عليهم إلا عباد الأصنام وصرحت التوراة بأن تحريم مؤاكلتهم ومخالطتهم خوف استدراج المخالطة إلى المناكحة ، والمناكحة قد تستتبع الانتقال من دينهم إلى أديانهم وموافقهم في عبادة الأوثان ووجدوا جميع هذا واضحاً في التوراة اختلقوا كتاباً سموه « هلكث شحيطاً » وتفسيره « علم الدبابة » ،

(١) ومنها أى المشنا والجمارا يتكون التلمود وهو الكتاب العقائدى الذى وحده يفسر ويسط كل معارف الشعب اليهودى وتعاليمه أو هو « كتاب شرائع وأداب إسرائيل » . وتبدأ القصة عندهم باختلاق خضير !! فقد زعم أخبارهم العتاة أن الله تعالى أوحى إلى موسى الكلم عليه السلام ، وهو بطور سيناء ، نوعين من الوحي : الأول : الشريعة المكتوبة (أسفار التوراة) . والثاني : الشريعة المكررة (التعاليم الشفهية) وهى تعاليم سرية - فى زعمهم - وتنضمن التفسير الحقيقى الصحيح الذى يعنيه الله ويريد من النصوص الظاهرة المكتوبة فى أسفار التوراة . ويؤمنون أن هذه التعاليم تناقلت شفاهة عن موسى عبر أربعين جيلاً حتى انتهت إلى « يهوذا هاناس » فدونها خشية ضياعها وسميت : « المشناه » [كلمة عبرية بمعنى المعرفة والدرس] ثم عكف الأخبار على شرحها فى أورشلیم ، وفى بابل ، وسميت الشروح باسم : « الجمارا » [الجمارا معناها الشرح أو الإكمال] ومن المتن وشرحه جاء ما يعرف بالتلمود بنوعيه الأورشليمى والبابلى . [انظر من التلمود ص ٧ - ١٢ ومعرفة الوجود بين القرآن والتلمود ص ٣٧ - ٣٩ والعقيدة اليهودية ص ١٦٩ - ١٧٢] .

(٢) انظر سفر الخروج [٢٣ : ٢٤] ، ثنية [٤ : ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٨ : ٥ - ٧ - ١٢/٩ : ١٩ - ٣١] .

(٣) خروج [٣٤ : ١٥ ، ١٦] .

(٤) خروج [٢٢ : ٣١] ونصه « ولحم فريسة فى الصحراء لا تأكلوا . للكلاب تطرحونه » .

ووضعوا في هذا الكتاب من الآصار^(١) والأغلال ما شغلهم به عما هم فيه من الذل والصغار والخزى ، فأمرهم فيه أن ينفخوا الرثة حتى يملئوها هواء ويتأملونها هل يخرج الهواء من ثقب منها أم لا فإن خرج منها الهواء حرموه ، وإن كانت بعض أطراف الرثة لاصقة ببعض لم يأكلوه ، وأمروا الذى يتفقد الذبيحة أن يدخل يده في بطن الذبيحة ويتأمل بأصابعه فإن وجد القلب ملتصقاً إلى الظهر أو أحد الجانبين ولو كان الالتصاق بعرق دقيق كالشعرة حرموه ولم يأكلوه وسموه « طريفا » .

ومعنى هذه اللفظة عندهم أنه نجس حرام ، وهذه التسمية عدوان منهم ؛ فإن معناها في لغتهم هى الفريسة التى يفترسها السبع ليس لها معنى في لغتهم سواء ، ولذلك عندهم في التوراة أن إخوة يوسف لما جاءوا بقميصه ملطخاً بالدم قال يعقوب في جملة الكلام : « طاروف طوراف يوسف » تفسيره : « وحش ردىء أكله افتراساً افترس يوسف »^(٢) ، وفي التوراة : « ولحم في الصحراء فريسة لا تأكلوا » .

فهذا الذى حرّمته التوراة من « الطريفا » وهذا نزل عليهم وهم في التيه وقد اشتد قرمهم^(٣) إلى اللحم فمنعوا من أكل الفريسة والميتة ، ثم اختلفوا في خرافات وهدايئات تتعلق بالرثة وقالوا : ما كان من الذبائح سليماً من هذه الشروط فهو « دخيا » وتفسيره طاهر ، وما كان خارجاً عن ذلك فهو « طريفا » وتفسيره نجس حرام ، ثم قالوا : معنى قوله في التوراة : « ولحم فريسة في الصحراء لا تأكلوا للكلاب تطرحونه » ، يعنى إذا ذبحتم ذبيحة ولم توجد فيها هذه الشروط فلا تأكلوها بل بيعوها على من ليس من أهل ملتكم ، قالوا : ومعنى قوله : « وللكلاب تطرحونه » أى لمن ليس على ملتكم فهو الكلب فأطعموه إياه بالثمن ، فتأمل هذا التحريف والكذب على الله وعلى التوراة وعلى موسى .

ولذلك كذبهم الله على لسان رسوله في تحريم ذلك فقال في السورة المدنية التى خاطب فيها أهل الكتاب : ﴿ فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ إِنَّ كُتُوبَ اللَّهِ تُعْبَدُونَ * إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ﴾ الآية . [النحل : ١١٤ ، ١١٥] .

وقال في سورة الأنعام : ﴿ قُلْ لَا أَجِدُ فِيمَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رَجَسٌ أَوْ فِسْقًا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ، فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ * وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ ،

(١) الآصار : مفردھا : الإصر وهو الثقل .

(٢) سفر التكوين [٣٧ : ٣٣] ونصه : « وحش ردىء أكله . افترس يوسف افتراساً » .

(٣) يقال : قرّم اللحم ، وإليه : اشتدت شهوته إليه فهو قرّم .

وَمِنَ الْبَقَرِ وَالنَّعَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شَحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوْ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ﴿ [الأنعام : ١٤٥ ، ١٤٦] . فهذا تحريم زائد على تحريم الأربعة المتقدمة ، وقال في سورة النحل وهى بعد هذه السورة نزولاً : ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ ﴾ [النحل : ١١٨] ، فهذا المحرم عليهم بنص التوراة ونص القرآن .

فلما نظر « القراؤون »^(١) منهم وهم أصحاب عنان وبنيامين إلى هذه المحالات الشنيعة والافتراء الفاحش والكذب البارد على الله وعلى التوراة وعلى موسى ، وأن أصحاب « الجمارا والمشنا »^(٢) كذابون على الله وعلى التوراة وعلى موسى ، وأنهم أصحاب حماقات ورقاعات^(٣) ، وأن أتباعهم ومشايخهم يزعمون أن الفقهاء منهم كانوا إذا اختلفوا في مسألة من هذه المسائل وغيرها يوحى الله إليهم بصوت يسمعون « الحق في هذه المسألة مع الفقيه فلان » ويسمون هذا الصوت : « بث قول » فلما نظر « القراؤون » إلى هذا الكذب المحال قالوا : قد فسق هؤلاء ، ولا يجوز قبول خبر فاسق ولا فتواه ، فخالفوه في سائر ما أصلوه من الأمور التي لم ينطق بها نص التوراة . وأما تلك الترهات التي ألّفها فقهاؤهم الذين يسمونهم « الحاخاميم » في علم الذباجة ورتبوا ونسبوا إلى الله فأطرحها القراؤون كلها وألغوها ، وصاروا لا يحرّمون شيئاً من الذبائح التي يتولون ذبحها البتة ولهم فقهاء أصحاب تصانيف إلا أنهم يبالغون في الكذب على الله ، وهم أصحاب ظواهر مجردة ، والأولون أصحاب استنباط وقياسات . والفرقة الثانية يقال لهم : « الربانيون »^(٤) ، وهم أكثر عدداً وفيهم الحاخاميم الكذابون على الله الذين زعموا أن الله كان يخاطب جميعهم في كل مسألة بالصوت الذى يسمونه « بث قول » وهذه الطائفة أشد اليهود عداوة لغيرهم من الأمم ، فإن الحاخاميم أوهموهم بأن الذبائح لا يحل منها إلا ما كان على الشروط التي ذكروها ، فإن سائر الأمم لا تعرف هذا وإنه شيء خصوا به وميزوا بهم عن سواهم ، وإن الله شرفهم به كرامة لهم ، فصار الواحد منهم ينظر إلى من ليس على نحلته كما ينظر إلى الدابة ، وينظر إلى ذبائحه كما ينظر إلى الميتة .

فصل : وأما « القراؤون » فأكثرهم خرجوا إلى دين الإسلام ونفعهم تمسكهم بالظواهر وعدم تحريفها إلى أن لم يبق منهم إلا القليل لأنهم أقرب استعداداً لقبول الإسلام لأمرين :

(١) فرقة تنسب إلى رجل يقال له : عنان بن داود ظهر في القرن الثامن الميلادى في بغداد ، وقد رفضت هذه الفرقة التلمود وتعاليم الحاخامات واكتفت بما ورد في التوراة دون تفسير . [انظر الفصل في الملل والأهواء لابن حزم ٨٢/١ ، والملل والنحل للشهرستانى بهامش الفصل ٤٥/٢] .

(٢) في المخطوط « وأن أصحاب التلمود المشنا والصواب ما أثبتنا .

(٣) الرقاعة : الحماقة وضعف العقل ، وتستعمل فيما ينشأ عنها من قلة الحياء والعفاقة .

(٤) الربانية هم الأشعية ، وهم القائلون بأقوال الأحبار ومذاهبهم ، وهم جمهور اليهود .

أحدهما : إساءة ظنهم بالفقهاء الكذابين المفترين على الله وطعنهم عليهم .

الثاني : تمسكهم بالظواهر وعدم تحريفها وإبطال معانيها .

وأما أولئك « الربانيون » فإن فقهاءهم وحاخاميمهم حصروهم في مثل سَمَّ الحيايط^(١) بما وضعوا لهم من التشديدات والآصار والأغلال المضافة إلى الآصار والأغلال التي شرعها الله عقوبة لهم ، وكان لهم في ذلك مقاصد منها : أنهم قصدوا بذلك مبالغتهم في مضادة مذاهب الأمم حتى لا يختلطوا بهم فيؤدى اختلاطهم بهم إلى موافقتهم والخروج من السبب واليهودية .

القصد الثاني : أن اليهود مبددون في شرق الأرض وغربها وجنوبها وشمالها ، كما قال تعالى :

﴿ وَقُضَّتْ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا ﴾ [الأعراف : ١٦٨] .

وما من جماعة منهم في بلدة إلا إذا قدم عليهم رجل من أهل دينهم من بلاد بعيدة يظهر لهم الخشونة في دينه والمبالغة في الاحتياط ، فإن كان من فقهاءهم شرع في إنكار أشياء عليهم يومهم قلة دينهم وعلمهم ، وكلما شدد عليهم قالوا : هذا هو العالم ، فأعلمهم أعظمهم تشديداً عليهم ، فتراه أول ما ينزل عليهم لا يأكل من أطعمتهم وذبائحهم ، ويتأمل سكين الذباح ويشرع في الإنكار عليه ببعض أمره ، ويقول : لا آكل إلا من ذبيحة يدي ، فتراهم معه في عذاب ، ويقولون : هذا عالم غريب قدم علينا فلا يزال ينكر عليهم الحلال ويشدد عليهم الآصار والأغلال ويفتح لهم أبواب المكر والاحتيايل ، وكلما فعل هذا قالوا : هذا هو العالم الرباني والحاخيم الفاضل ، فإذا رآه رئيسهم قد مشى حاله وقبل بينهم مقاله وزن نفسه معه فإذا رأى أنه ازدرى به وطعن عليه لم يقبل منه ، فإن الناس في الغالب يميلون مع الغريب وينسبه أصحابه إلى الجهل وقلة الدين ، ولا يصدقونه لأنهم يرون القادم قد شدد عليهم وضيق ، وكلما كان الرجل أعظم تضيقاً وتشديداً كان أفقه عندهم ، فينصرف عن هذا الرأي فيأخذ في مدحه وشكره ، فيقول : لقد عظم الله ثواب فلان إذ قوى ناموس الدين في قلوب هذه الجماعة ، وشيد أساسه ، وأحكم سياج^(٢) الشرع ، فيبلغ القادم قوله فيقول : ما عندكم أفقه منه ولا أعلم بالتوراة ، وإذا لقيه يقول : لقد زين الله بك أهل بلدنا ، ونعش بك هذه الطائفة .

وإن كان القادم عليهم حبراً من أحبارهم فهناك ترى العجب العجيب من الناموس الذي تراه يعتمد على السنن التي يحدتها ، ولا يعترض عليه أحد ، بل تراهم مسلمين له ، وهو يحتلب درهم^(٣) ويحتلب درهمهم .

(١) السِّمُّ : كل ثقب ضيق كثقب الإبرة والأنف والأذن . والحيايط : آلة الحياطة ، كالإبرة ونحوها . وسَمَّ الحيايط : ثقبه .

(٢) سياج : سور من شوك أو حائط أو غير ذلك .

(٣) احتلب الشاه ونحوها : حلبها أى استخرج ما في ضرعها من لبن . والدَّرُّ : اللبن ، أو الكثير منه .

وإذا بلغه عن يهودى طعن عليه ، صبر عليه حتى يرى منه جلوساً على قارعة الطريق يوم السبت أو يبلغه أنه اشترى من مسلم لبناً أو خمرأ أو خرج عن بعض أحكام « المشنا ، والجمارا » فحرمه بين ملاء اليهود وأباحتهم عرضه ونسبه إلى الخروج عن اليهودية ، فيضيق به البلد على هذه الحال ، فلا يسهه إلا أن يصلح ما بينه وبين الحبر بما يقتضيه الحال ، فيقول لليهود : إن فلاناً قد أبصر رشده ورجع للحق وأقلع عما كان فيه وهو اليوم يهودى على الوضع ، فيعودون له بالتعظيم والإكرام !!

من شرائع اليهود

وأذكر لك مسألة من مسائل شرعهم المبدل أو المنسوخ تعرف بمسألة « الياما والجالوس » وهي أن عندهم في التوراة : « إذا أقام أخوان في موضع واحد ومات أحدهما ولم يعقب ولداً فلا تصير امرأة الميت إلى رجل أجنبي بل هموها ينكحها ، وأول ولد يولدها ينسب إلى أخيه الدارج ، فإن أوى أن ينكحها خرجت متشكية إلى مشيخة قومه قائلة : قد أوى حموى أن يستبقى اسماً لأخيه في بنى إسرائيل ولم يرد نكاحى ، فيحضره ويكلفه أن يقف ويقول : ما أردت نكاحها ، فتناول المرأة نعله فتخرجه من رجله وتمسكه بيدها وتبصق في وجهه وتنادى عليه : كذا فليصنع بالرجل الذى لا يبنى بيت أخيه . ويُدعى فيما بعد بالخلوع النعل ، ويتبذرونه بهذا اللقب »^(١) .

وفى هذا كالتلجئة له^(٢) إلى نكاحها ، لأنه إذا علم أنه قد فرض على المرأة وعليه ذلك فربما استحيا وخجل من شئ نعله من رجله والبصق في وجهه ونيزه باللقب المستكره الذى يبقى عليه وعلى أولاده عاره ولم يجد بداً من نكاحها ، فإن كان من الزهد فيها والكراهة لها بحيث يرى أن هذا كله أسهل عليه من أن يتلى بها وهان عليه هذا كله فى التخلص منها لم يكره على نكاحها ، هذا عندهم فى التوراة . ونشأ لهم من ذلك فرع مرتب عليه وهو : أن يكون مريداً للمرأة محباً لها وهى فى غاية الكراهة له ، فأحدثوا لهذا الفرع حكماً فى غاية الظلم والفضيحة فإذا جاءت إلى الحاكم أحضروه معها ولقنوها أن تقول : إن حموى لا يقيم لأخيه اسماً فى بنى إسرائيل ، ولم يرد نكاحى ، وهو عاشق لها فيلزمونها بالكذب عليه وأنها أرادت فامتنع فإذا قالت ذلك أئزمه الحاكم أن يقوم ويقول : ما أردت نكاحها - ونكاحها غاية سؤله وأمنيته ، فيأمرونه بالكذب عليها - فيخرج نعله من رجله إلا أنه لا مسك هنا ولا ضرب بل يبصق فى وجهه وينادى عليه : هذا جزء من لا يبنى بيت أخيه . فلم يكفهم أن كذبوا عليه حتى أقاموه مقام الخزى وألزموه بالكذب والبصاق فى وجهه

(١) سفر التثنية [٢٥ : ٥ - ١٠] .

(٢) كالتلجئة : يقال : لجأ إلى كذا : أجهأ أى عصمه . ويقال : أجهأ من الشيء : حصته فى ملجأ منه .

والعتاب على ذنبه جره غيره ، كما قيل :

وَجُزِمَ جَرُّهُ سَفَهَاءُ قَوْمٍ وَحُلَّ بِغَيْرِ جَارِمِهِ الْعَذَابُ^(١)

أفلا يستحي من تعيير المسلمين من هذا شرعه ودينه ؟!

❧ إذلال لليهود وطمس لمعالم دينهم ❧

ولا يستبعد اصطلاح الأمة الغضبية على المحال واتفاقهم على أنواع من الكفر والضلال ، فإن الدولة إذا انقضت عن أمة باستيلاء غيرها عليها وأخذ بلادها انطمست حقائق سالف أخبارها ودرست معالم دينها وآثارها ، وتعذر الوقوف على الصواب الذي كان عليه أولوها وأسلافها ؛ لأن زوال الدولة عن الأمة إنما يكون بتتابع الغارات وخراب البلاد وإحراقها وجلاء أهلها عنها ، فلا تزال هذه البلايا متتابعة عليها إلى أن تستحيل رسوم دياناتها وتضمحل أصول شرعها وتتلشى قواعد دينها ، وكلما كانت الأمة أقدم واختلفت عليها الدول المتناولة لها بالإذلال والصغار كان حفظها من اندراس دينها أوفر ، وهذه الأمة الغضبية أوفر الأمم حظاً من ذلك ، فإنها أقدم الأمم عهداً ، واستولت عليها سائر الأمم من الكلدانيين والبابليين والفرس واليونان والرومان . والرومان الذين تنصروا ، وما من هذه الأمم أمة إلا وقصدت استئصالهم وإحراق كتبهم وتخريب بلادهم ، حتى لم يبق لهم مدينة ولا جيش ولا حصن إلا بأرض الحجاز وخيبر فأعزما كانوا هناك ، فلما قام الإسلام « واستعلن الرب تعالى من جبال فاران » صادفهم تحت ذمة الفرس والنصارى وصادف هذه الشرذمة بخير والمدينة فأذاقهم الله بالمسلمين من القتل والسبي وتخريب الديار ذنوياً مثل ذنوب أصحابهم ، وكانوا من سبط لم يصيبهم الجلاء فكتب الله عليهم الجلاء وشتتهم ومزقهم بالإسلام كل ممزق ، ومع هذا فلم يكونوا مع أمة من الأمم أطيب منهم مع المسلمين ولا آمن ، فإن الذي نالهم من النصارى والفرس وعباد الأصنام لم ينلهم من المسلمين مثله ، وكذلك الذي نالهم مع ملوكهم العصاة الذين قتلوا الأنبياء وبالغوا في طلبهم وعبدوا الأصنام ، أحضروا من البلاد سدة للأصنام لتعظيمها وتعظيم رسومها في العبادة وبنوا لها البيع والهياكل^(٢) وعكفوا على عبادتها وتركوا لها أحكام التوراة وشرع موسى أزمنة طويلة وأعصاراً متصلة ، فإذا كان هذا شأنهم مع ملوكهم فما الظن بشأنهم مع أعدائهم أشد الأعداء عليهم كالنصارى الذين عندهم أنهم قتلوا المسيح وصلبوه وصفعوه وبصقوا في وجهه ووضعوا الشوك على رأسه وكالفرس والكلدانيين وغيرهم .

(١) هذا البيت للشاعر المعروف أبي الطيب المتنبي .

(٢) البيع : معابد النصارى .. والهياكل لها أكثر من معنى : فهو بيت الأصنام ، والبيت الضخم المقدس يشيده اليهود لإقامة الشعائر الدينية .. وموضع في صدر الكنيسة يقرب فيه القربان .

وكثيراً ما منعهم ملوك الفرس من الختان وجعلوهم قلعاً ، وكثيراً ما منعوهم من الصلاة لمعرفةهم بأن معظم صلاتهم دعاء على الأمم بالبور وعلى بلادهم بالخراب إلا أرض كنعان ، فلما رأوا أن صلاتهم هكذا منعهم من الصلاة ، فرأت اليهود أن الفرس قد جدوا في منعهم من الصلاة فاخترعوا أدعية مزجوا بها صلاتهم سموها « الخزانة » وصاغوا لها لحناً عذبة وصاروا يجتمعون على تلحينها وتلاوتها ، والفرق بين الخزانة والصلاة أن الصلاة بغير لحن ويكون المصلّي فيها وحده ، والخزانة بلحن يشاركه غيره فيه ، فكانت الفرس إذا أنكروا ذلك عليهم قالت اليهود : نحن نغنى وننوح على أنفسنا فيخلون بينهم وبين ذلك ، فجاءت دولة الإسلام فأمنوا فيها غاية الأمن ، وتمكنوا من صلاتهم في كنائسهم ، واستمرت الخزانة سنة فيهم في الأعياد والمواسم والأفراح وتعوضوا بها عن الصلاة^(١) .

والعجب أنهم مع ذهاب دولتهم وتفرق شملهم وعلمهم بالغضب الممدود المستمر عليهم ومسح أسلافهم قرده لقتلهم الأنبياء وعدوانهم في السبت وخروجهم عن شريعة موسى والتوراة وتعطيلهم لأحكامها يقولون في كل يوم في صلاتهم « حبة الدهر » : (أحبنا يا إلها ! ويا أبانا ! أنت أبونا منقذنا) .

ويمثلون أنفسهم بعناقيد العنب وسائر الأمم بالشوك المحيط بالكرم لحفظه ، وأنهم سيقم الله لهم نبياً من آل داود إذا حرك شفتيه بالدعاء مات جميع الأمم ولا يبقى على وجه الأرض إلا اليهود ، وهو يزعمهم المسيح الذي وعدوا به ، وينهون الله بزعمهم من رقدته في صلاتهم ، وينخونه ويحّمونه ، تعالى الله عن إفكهم وضلالهم علواً كبيراً .

وضلال هذه الأمة الغضبية وكذبها وافترائها على الله ودينه وأنبياؤه لا مزيد عليه . وأما أكلهم الربا والسحت والرشا ، واستبدادهم دون العالم بالخبث والمكر والبهت ، وشدة الحرص على الدنيا ، وقسوة القلوب ، والذل والصغار ، والحزى ، والتحيل على الأغراض الفاسدة ، ورمى البراء بالعيوب ، والطعن على الأنبياء .. فأرخص شيء عندهم ، وما عهروا به المسلمين مما ذكره وما لم يذكروه فهو في بعضهم وليس في جميعهم ونبههم وكتابه ودينه وشرعه يرى منه ، ما عليه من معاصي أمته وذنوبهم ، فأبى الله إياهم وعلى الله حسابهم^(٢) .

(١) لمزيد من التفصيل عن تاريخ اليهود قديماً وحديثاً انظر : العقيدة اليهودية وخطرها على الإنسانية للدكتور سعد الدين صالح ص ٤٥ - ١٠٧ . ونهاية إسرائيل والصهيونية للأستاذ عبد الحميد واكد . وبروتوكولات حكماء صهيون ترجمة : الأستاذ محمد خليفة التونسي ، والصهيونية غير اليهودية . للاستفادة رجبنا الشريف (سلسلة عالم المعرفة) . إلى غير ذلك من المراجع .
(٢) لمزيد من التفصيل عن عقائد اليهود المستمدة من تلمودهم انظر : من التلمود ط . المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، والعقيدة اليهودية ، الباب الثالث ص ٢٧١ - ٣٤٠ ، والكنز المرصود في قواعد التلمود . مترجم عن الفرنسية والتلمود تاريخه وتعاليمه لظفر الإسلام خان ، وبذل المجهود في إفحام اليهود لشموائل بن يهودا ، ومعركة الوجود بين القرآن والتلمود للدكتور عبد الستار فتح الله سعيد .

﴿ فصل ﴾ ﴿ دِينَ النَّصَارَى ﴾

وإن كان الْمُعْتَرِّ للمسلمين من أمة الضلال وعباد الصليب والصور المدهونة في الحيطان والسقوف فيقال له : ألا يستحي من أصل دينه الذي يدين به اعتقاده : « أن رب السموات والأرض تبارك وتعالى نزل عن كرسي عظمتة وعرشه ودخل في فرج امرأة تأكل وتشرب وتبول وتتغوط وتحيض ، فالتحم ببطنها ، وأقام هناك تسعة أشهر يتلبط بين نجو^(١) وبول ودم طمث ، ثم خرج إلى القمط^(٢) » والسريير كلما بكى ألقمته أمه ثديها . ثم انتقل إلى المكتب بين الصبيان ، ثم آل أمره إلى لطم اليهود خديه ؛ وصفعهم قفاه ، وبصقهم في وجهه ، ووضعهم تاجاً من الشوك على رأسه والقصبه في يده ؛ استخفافاً به وانتهاكاً لحرمة . ثم قربوه من مركب خص بالبلاء راكبه ، فشدوه عليه وربطوه بالحبال ، وسمروا يديه ورجليه ، وهو يصيح ويكي ويستغيث من حر الحديد وألم الصلب .

هذا وهو الذي خلق السموات والأرض ، وقسم الأرزاق والآجال ؛ ولكن اقتضت حكمته ورحمته أن يمكن أعداءه من نفسه لينالوا منه ما نالوا فيستحقوا بذلك العذاب والسجن في الجحيم ، ويفدى أنبياءه ورسله وأوليائه بنفسه فيخرجهم من سجن إبليس ؛ فإن روح آدم وإبراهيم ونوح وسائر النبيين عندهم كانت في سجن إبليس في النار حتى خلصها من سجنه بتمكينه أعداءه من صلبه^(٣) .

﴿ مريم العذراء في تصور النصارى ﴾

وأما قولهم في « مريم » فإنهم يقولون : إنها أم المسيح ابن الله في الحقيقة ، ووالدته في الحقيقة ، لا أم لابن الله إلا هي ، ولا والدته له غيرها ، ولا أب لابنها إلا الله ، ولا ولد له سواه ، وإن الله اختارها لنفسه ولولادة ولده وابنه من بين سائر النساء ، ولو كانت كسائر النساء لما ولدت إلا عن وطء الرجال لها ، ولكن اختصت عن النساء بأنها حبلت بابن الله ، وولدت ابنه الذي لا ابن له في الحقيقة غيره ، ولا والد له سواه ، وإنها على العرش جالسة عن يسار الرب تبارك وتعالى والد ابنها ، وابنها عن يمينه^(٤) .

(١) تَلَبَّط في أمره : تحير . ويقال : تلبط فلان : اختلط عليه أمره . والتَّجَوَّ : ما يخرج من البطن من ريح وغازات .

(٢) الْقِمَاط : خرقه عريضة يُلَف بها المولود .

(٣) فيما يختص بقضية الغداء والصلب .. الخ انظر كتاباً قيماً لعالم مسيحي هداة الله إلى الإسلام بعنوان « هل المسيح بشر أم إله » للأستاذ محمد مجدى مرجان .

(٤) ما قرره النصارى (اليعاقبة والمكائنة) بشأن مريم العذراء ، وقولهم إنها أم الإله يرجع إلى مجمع أفسس الأول الذي انعقد سنة ٤٣١ م بسبب مناداة نسطور بأن طبيعة المسيح اللاهوتية منفصلة عن طبيعته الناسوتية . وبالتالي فإن اللاهوت لم يولد ولم يصلب ، كذلك فإن مريم - في رأيه - ليست والدته الإله ، وإنما هي أم يسوع المسيح . بناءً على ذلك قرر المجمع تحريم بدعة =

والنصارى يدعونها ويسألونها سعة الرزق ، وصحة البدن ، وطول العمر ، ومغفرة الذنوب ، وأن تكون لهم عند ابنها ووالده - الذى يعتقد عامتهم أنه زوجها ، ولا ينكرون ذلك عليهم - سوراً وسنداً وذخراً وشفيعاً وركناً ، ويقولون فى دعائهم : « يا والدة الإله اشفعى لنا ! » وهم يعظمونها ويرفعونها على الملائكة وعلى جميع النبيين والمرسلين ، ويسألونها ما يسأل الإله من العافية والرزق والمغفرة .

حتى إن « اليعقوبية » يقولون فى مناجاتهم لها : « يا مريم يا والدة الإله كوفى لنا سوراً وسنداً وذخراً وركناً » .

« والنسطورية »^(١) يقولون : « يا والدة المسيح كوفى لنا كذلك » ، ويقولون لليعقوبية^(٢) : « لا تقولوا : يا والدة الإله وقولوا : يا والدة المسيح » ، فقالت لهم اليعقوبية : « المسيح عندنا وعندكم إله فى الحقيقة فأى فرق بيننا وبينكم فى ذلك ؟ ولكنكم أردتم مصالحة المسلمين ومقاربتهم فى التوحيد » .

هذا .. والأوقاح الأرجاس من هذه الأمة تعتقد أن الله سبحانه اختار مريم لنفسه لولده ، وتخطاها كما يتخطى الرجل المرأة .

قال النظام بعد أن حكى ذلك عنهم : « وهم يفصحون بهذا عند من يثقون به » .. قد قال ابن الأخشيد هذا عنهم فى « المعونة » ، وقال : « إليه يشيرون ، ألا ترون أنهم يقولون : من لم يكن والداً يكون عقيماً والعقم آفة وعيب ، وهذا قول جميعهم إلى المباشعة يشيرون ، ومن خالط القوم وطاولهم وباطنهم عرف ذلك منهم » . فهذا كفرهم وشركهم برب العالمين ومستبهم له .

- نسطور وأضاف إلى قانون الإيمان ما يلى : « نعظمك يا أم التور الحقيقى ، ونمجذك أيها العذراء القدسة ، والدة الإله ، لأنك ولدت لنا مخلص العالم ، أقى وخلص نفوسنا ، المجد لك يا سيدتنا وملكنا المسيح ، فخر الرسل ، [كليل الشهداء ، عميل الصديقين ، ثبات الكنائس ، غفران الخطايا ، نبش بالثالوث المقدس ، لاهوت واحد ، نسجد له ، ونمجده ، يارب ارحم ، يارب ارحم ، يارب بارك ، آمين » .

[انظر الخريدة النفيسة فى تاريخ الكنيسة ٤٨٣/١ - ٤٩٥] والعذراء فى التاريخ الكنسى ص ٥٣ للقس يوسف أسعد .

(١) تنسب هذه الفرقة إلى نسطور الحكيم وكان بطريركا على القسطنطينية وقد خالف نسطور اليعاقبة والمكائنة فى طبيعة المسيح ، فالمسيح - فى رأيه - ذو طبيعتين ، اللاهوت والناسوت وإحداهما منفصلة عن الأخرى ، وبالتالى فإن مريم ليست والدة الإله ، بل والدة الإنسان ، هذا الرأى أدى إلى انعقاد مجمع أفسس سنة ٤٣١ م وقرر لعنه وطرده من الكنيسة وخلعه . أما نسطور فلما استقر فى ديره لم يفتأ ينفث سمه فيما حوله فغناه الملك إلى أخميم من صعيد مصر حيث أدركه الموت . [الخريدة النفيسة ٤٨٣/١ - ٤٩٥] .

(٢) أتباع يعقوب البراذعى الذى عاش فى القرن السادس الميلادى وكان يرى أن للمسيح طبيعة واحدة ومشيئة واحدة ، مما أدى إلى وقوع الخلاف بين اليعاقبة والمكائنة ، فعقد مجمع خلقيدونية سنة ٤٥١ م للفصل بينهما ، فقرر رفض عقيدتهم فى المسيح . فانفصلت الكنيسة اليعقوبية عن الكنيسة المكائنة . ولا تعترف الكنيسة اليعقوبية بمجمع خلقيدونية ولا بقراراته . [الخريدة النفيسة ٥١٠/١ وما بعدها] .

ولهذا قال فيهم أحد الخلفاء الراشدين : « أهينوهم ولا تظلموهم فلقد سبوا الله مسببة ما سبه إياها أحد من البشر » .

وقد أخبر النبي ﷺ عن ربه في الحديث الصحيح أنه قال : « شتمني ابن آدم لم يكن له ذلك ، وكذبنى ابن آدم ولم يكن له ذلك ، أما شتمه إياي فقلوه : اتخذ الله ولداً وأنا الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ، وأما تكذيبه إياي فقلوه : لن يعيدني كما بدأني وليس أول الخلق بأهون علي من إعادته » ^(١) .

فلو أتى الموحدون بكل ذنب وفعلوا كل قبيح وارتكبوا كل معصية ما بلغت مثقال ذرة في جنب هذا الكفر العظيم برب العالمين ، ومسبته هذا السب ، وقول العظام فيه .

فما ظن هذه الطائفة برب العالمين أن يفعل بهم إذا لقوه ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران : ١٠٦] ، ويسأل المسيح على رؤوس الأشهاد وهم يسمعون ﴿يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتُ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ ؟ فيقول المسيح مكذباً لهم ومتبرئاً منهم : ﴿سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ * مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ، وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المائدة : ١١٦ ، ١١٧] .

فصل : فهذا أصل دينهم وأساسه الذي قام عليه . وأما فروعه وشرائعه فهم مخالفون للمسيح في جميعها ^(٢) ، وأكثر ذلك بشهاداتهم وإقرارهم ولكن يحيلون على البتاركة والأساقفة ، فإن المسيح صلوات الله وسلامه عليه كان يتدين بالطهارة ، ويغتسل من الجنابة ، ويوجب غسل الحائض . وطوائف النصارى عندهم أن ذلك كله غير واجب ، وأن الإنسان يقوم من على بطن المرأة يبول ويتغوط ولا يمس ماء ولا يستجمر ، والبول والتجو ينحدر على ساقه وفخذه ويصلي كذلك وصلاته صحيحة تامة عنده ، ولو تغوط وبال وهو يصلي لم يضره فضلاً عن أن يفسو أو يضرط ، ويقولون : إن الصلاة بالجنابة والبول والغائط أفضل من الصلاة بالطهارة ، لأنها حينئذ أبعد من صلاة المسلمين واليهود وأقرب إلى مخالفة الأمتين . ويستفتح الصلاة بالتصليب بين عينيه ، وهذه الصلاة رب العالمين يرى منها ، وكذلك المسيح

(١) صحيح . البخارى في بدء الخلق . باب ما جاء في قول الله تعالى ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ..﴾ [٣٣١/٦] وفي التفسير . سورة الصمد [٦١١/٨ ، ٦١٢] .

(٢) فيما يتعلق بهذه الشرائع ، انظر سفر أعمال الرسل وكتاب «الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ...» [٣٩٦/٤ - ٤٣٧] .

وسائر النبين ؛ فإن هذه بالاستهزاء أشبه بالعبادة ، وحاشا المسيح أن تكون هذه صلاته أو صلاة أحد من الحوارين .

والمسيح كان يقرأ في صلاته ما كان الأنبياء وبنو إسرائيل يقرؤونه في صلاتهم من التوراة والزبور ؛ وطوائف النصارى إنما يقرؤون في صلاتهم كلاماً قد لحنه لهم الذين يتقدمون ويصلون بهم ، يجرى مجرى النوح والأغاني فيقولون : هذا قداس فلان وهذا قداس فلان ، ينسبونه إلى الذين وضعوه ، وهم يصلون إلى الشرق ، وما صلى المسيح إلى الشرق قط ، وما صلى إلى أن توفاه الله إلا إلى بيت المقدس ، وهى قبله داود والأنبياء قبله ، وقبله بنى إسرائيل^(١) ، والمسيح اختن وأوجب الختان كما أوجبه موسى وهارون والأنبياء قبل المسيح . والمسيح حرم الخنزير ، ولعن آكله ، وبالع في ذمه - والنصارى تقر بذلك - ولقى الله ولم يطعم من لحمه بوزن شعيرة ؛ والنصارى تتقرب إليه بأكله . والمسيح ما شرع لهم هذا الصوم الذى يصومونه قط ولا صامه في عمره مرة واحدة ولا أحد من أصحابه ، لا صام صوم العذارى في عمره ، ولا أكل في الصوم ما يأكلونه ولا حرم فيه ما يحرمونه ، ولا عطل السبت يوماً واحداً حتى لقي الله ، ولا اتخذ الأحد عيداً قط ، والنصارى تقر أنه رقى مريم المجدلية فأخرج منها سبع شياطين^(٢) ، وأن الشياطين قالت له : « أين نأوى ؟ » فقال لها : « اسلكى هذه الدابة النجمة »^(٣) يعنى الخنزير .

فهذه حكاية النصارى عنهم بوجه يزعمون أن الخنزير من أطهر الدواب وأجملها ، والمسيح سار في الذبائح والمناكح والطلاق والموارث والحدود سيرة الأنبياء قبله . وليس عند النصارى على من زنا أو لاط أو سكر حد في الدنيا أبداً ولا عذاب في الآخرة ؛ لأن القس والراهب يغفروهم فكلما أذنب أحدهم ذنباً أهدى للقس هدية أو أعطاه درهماً أو غيره ليغفر له به .

وإذا زنت امرأة أحدهم يئتها عند القس ليطيئها له فإذا انصرفت من عنده وأخبرت زوجها أن القس طيئها قبل ذلك منها وتبرك به^(٤) !

(١) لم يحدد موسى في التوراة جهة معينة يتجهون إليها في صلاتهم وحجهم ، لكن اليهود السامريون جعلوا جبل جرزيم قبله لهم . بينما جعل العبرانيون جبل صهيون قبله لهم وقد كان بيت المقدس مبنياً على جبل صهيون ، والمسيح على أساس أنه من اليهود العبرانيين كان يتجه مثلهم إلى جبل صهيون المبنى فوق بيت المقدس . [السقا] .

(٢) نصه في لوقا : « مريم التى تدعى المجدلية التى خرج منها سبعة شياطين » [لوقا ٨ : ٢] .

(٣) انظر تفاصيل القصة في لوقا [٨ : ٢٦ - ٣٣] .. وكان هناك قطع خنازير كثيرة ترعى في الجبل . فطلبوا إليه أن يأذن لهم بالدخول فيها . فأذن لهم فخرجت الشياطين من الإنسان ودخلت في الخنازير .

(٤) بكل التشريعات التى يسير عليها النصارى ليست من تعاليم المسيح ، لكنها ترجع إلى بولس الرسول واسمه (شاول) كان من أعداء المسيحية الأول ، وله دور خطير فيها ، فهو مخترع المسيحية الحالية وواضع عقائدها . من أهم هذه العقائد تأليه المسيح والقول بالتثليث ، وأن صلب المسيح تكفير عن خطيئة آدم وفداء للبشر ، وأن عيسى هو الذى يحاسب البشر يوم القيامة وليس

❦ النصارى يناقضون اليهود ❦

وهم يقولون أن المسيح قال : « إنما جئتكم لأعمل بالتوراة وبوصايا الأنبياء قبل ، وما جئت ناقضاً بل متمماً ، ولأن تقع السماء على الأرض أيسر عند الله من أن أنقض شيئاً من شريعة موسى ، ومن نقض شيئاً من ذلك يدعى ناقضاً في ملكوت السماء »^(١) ، وما زال هو وأصحابه كذلك إلى أن خرج من الدنيا ، وقال لأصحابه : « اعملوا بما رأيتموني أعمل ، وارضوا من الناس بما أرضيتكم به ، ووصوا الناس بما وصيتكم به ، وكونوا معهم كما كنت معكم ، وكونوا لهم كما كنت لكم » .

وما زال أصحاب المسيح بعده على ذلك قريباً من ثلاثمائة سنة ثم أخذ القوم في التغيير والتبديل والتقرب إلى الناس بما يهون ومكايدة اليهود ومناقضتهم بما فيه ترك دين المسيح والانسلاخ منه جملة .

فأرأوا اليهود قد قالوا في المسيح : إنه ساحر مجنون ممخرق ولد زنية . فقالوا : هو إله تام وهو ابن الله !! وأرأوا اليهود يختنون فتركوا الختان ! وأرأوهم يبالغون في الطهارة فتركوها جملة ! وأرأوهم يتجنبون مؤاكلة الحائض وملامستها ومخالطتها جملة فجامعوها ! وأرأوهم يحرمون الخنزير ، فأباحوه وجعلوه شعار دينهم ، وأرأوهم يحرمون كثيراً من الذبائح والحيوان فأباحوا ما دون الفيل إلى البعوضة ، وقالوا : كل ما شئت ودع ما شئت لا حرج ، وأرأوهم يستقبلون بيت المقدس في الصلاة فاستقبلوا هم الشرق . وأرأوهم يحرمون على الله نسخ شريعة شرعها ، فجوزوا هم لأساقفتهم وبتاركهم أن ينسخوا ما شاعوا ويحللوا ما شاعوا ويحرموا ما شاعوا ، وأرأوهم يحرمون السبت ويحفظونه فحرموا هم الأحد وأحلوا السبت مع إقرارهم بأن المسيح كان يعظم السبت ويحفظه ، وأرأوهم ينفرون من الصليب ، فإن في التوراة : « ملعون من تعلق بالصليب »^(٢) والنصارى تقر بهذا ، فعبدوا هم الصليب .

كما أن في التوراة تحريم الخنزير نصاً فتعبدوا هم بأكله ، وفيها الأمر بالختان فتعبدوا هم بتركه مع إقرار النصارى بأن المسيح قال لأصحابه : « إنما جئتكم لأعمل بالتوراة وبوصايا

« الله .. إن من أهم ما يؤكد أهمية دور بولس خطورته ما ذكره داعية العصر الأستاذ/ أحمد ديدات في كتابه «مسألة صلب المسيح» قائلاً : « إن صاحب كتاب «الخالدون مئة هم القمم الشاخنة في التاريخ» مايكل م . هارت يعتبر - وهو على الأرجح مسيحي - محمداً نبي الإسلام على رأس الملة والأسباب قوية . ولأسباب قوية أيضاً يضع المؤلف عيسى عليه السلام وهو الذي يعتبر سيد البشر ومخلص البشرية من آثامها في نظر كل الأمريكيين من مواطنيه تقريباً ، في المرتبة الثالثة » أما المؤسس الحقيقي للمسيحية - في نظر مايكل - فإنه بولس « ومن هنا كانت المرتبة الثالثة لعيسى عليه السلام . وكل مسيحي يعتز بدنيته يعتبر أن المؤسس الحقيقي للمسيحية هو القديس بولس ، وليس عيسى المسيح عليه السلام » . [مسألة صلب المسيح بين الحقيقة والافتراء ص ٨] .

(١) متى [٥ : ١٧ - ٢٠] .

(٢) سفر التثنية [٢١ : ٢٣] .

الأنبياء قبل ، وما جئت ناقضاً بل متمماً ، ولأن تقع السماء على الأرض أيسر عند الله من أن أنقض شيئاً من شريعة موسى .

فذهبت النصارى تنقضها شريعة شريعة في مكايده اليهود ومغايظتهم وانضاف إلى هذا السبب ما في كتابهم المعروف عندهم « بافر كسيس »^(١) أن قوماً من النصارى خرجوا من بيت المقدس وأتوا أنطاكية وغيرها من الشام فدعوا الناس إلى دين المسيح الصحيح ، فدعاهم إلى العمل بالتوراة وتحريم ذبائح من ليس من أهلها ، وإلى الختان وإقامة السبت ، وتحريم الخنزير وتحريم ما حرّمته التوراة ، فشق ذلك على الأمم واستثقلوه ، فاجتمع النصارى ببيت المقدس وتشاوروا فيما يحتالون به على الأمم ليجيئوهم إلى دين المسيح ويدخلوا فيه ، فاتفق رأيهم على مداخلة الأمم والترخيص لهم والاختلاط بهم ، وأكل ذبائحهم ، والانحطاط في أهوائهم ، والتخلق بأخلاقهم وإنشاء شريعة تكون بين شريعة الإنجيل وما عليه الأمم وأنشأوا في ذلك كتاباً ، فهذا أحد مجامعهم الكبار^(٢) .

وكانوا كلما أرادوا إحداث شيء اجتمعوا مجتمعاً افترقوا فيه على ما يريدون إحداثه إلى أن اجتمعوا المجمع الذي لم يجتمع لهم أكبر منه في عهد قسطنطين الرومى ابن هيلانة الحارانية الفندقية^(٣) ، وفي زمنه بدل دين المسيح وهو الذى أشاد دين النصارى المبتدع وقام به وقعد ، وكان عدتهم زهاء ألفى رجل ، فقرروا تقريراً ثم رفضوه ولم يرتضوه ، ثم اجتمع ثلاثمائة وثمانية عشر رجلاً منهم - والنصارى يسمونهم الآباء - فقرروا هذا التقرير الذى هم عليه اليوم ، وهو أصل الأصول عند جميع طوائفهم لا يتم لأحد منهم نصرانية إلا به ، ويسمونه « سنيودس » وهى « الأمانة » !

❧ خيانة لا أمانة ❧

ولفظها : « نؤمن بالله الآب الواحد خالق ما يرى وما لا يرى ، وبالرب الواحد يسوع المسيح ابن الله بكر أبيه وليس بمصنوع ، إله حق من إله حق ، من جوهر أبيه ، الذى بيده أتقنت العوالم وخلق كل شيء ، الذى من أجلنا معشر الناس ومن أجل خلاصنا نزل من السماء وتجسد من الروح القدس ومن مريم البتول وحبلت به مريم البتول وولدت ، وأخذ

(١) هو سفر أعمال الرسل .

(٢) نصه كما ورد في سفر أعمال الرسل : « الرسل والمشايع والإخوة يهدون سلاماً إلى الإخوة الذين من الأمم في أنطاكية وسورية وكيليكية . إذ قد سمعنا أن أناساً خارجين من عندنا أزعموكم بأقوال مقلين أنفسكم ، وقالين أن تختنوا وتحفظوا التاموس الذين نحن لم نأمرهم ، رأينا وقد صرنا بنفس واحدة أن نخاف رجلين ونرسلهما إليكم مع حبيبنا برنابا وبولس . رجلين قد بذلا أنفسهما لأجل اسم ربنا يسوع المسيح . فقد أرسلهما يهوذا وسيلا وهما يخبرانكم بنفس الأمور شفاهاً لأنه قد رأى الروح القدس ونحن أن لا نضع عليكم ثقلاً أكثر غير هذه الأشياء الواجبة أن تمتنعوا عما ذبح للأستنام وعن الدم والخموق الزنا التى إن حفظتم أنفسكم منها فنعماً تفعلون كونوا معافين » [أعمال ١٥ : ٢٣ - ٢٩] .

(٣) هو مجمع نيقية . وسيتحدث المؤلف فيما بعد بالتفصيل عن مجامعهم كاملة .

وصلب ، وقتل أيام يلاطيس البنطى ، ومات ودفن ، وقام فى اليوم الثالث كما هو مكتوب ، وصعد إلى السماء وجلس عن يمين أبيه ، وهو مستعد للمجيء تارة أخرى للقضاء بين الأموات والأحياء . ونؤمن بالروح القدس روح الحق الذى يخرج من أبيه روح محبته ، وبعمودية واحدة لغفران الخطايا ، وبجماعة واحدة قديسية سليحية جاثليقية ، وبقيام أبداننا وبالحياة الدائمة إلى أبد الآبدين»^(١) .

فصرحوا فيها بأن المسيح رب وأنه ابن الله ، وإنه بكره ليس له ولد غيره ، وأنه ليس بمصنوع .. أى ليس بعبد مخلوق بل هو رب خالق ، وأنه إله حق استل^(٢) وولد من إله حق ، وأنه مساو لأبيه فى الجوهر ، وأنه بيده أتقنت العوالم ، وهذه اليد التى أتقنت العوالم بها عندهم هى التى ذاقت حر المسامير كما صرحوا به فى كتبهم .

وهذه ألفاظهم ، قالوا : « وقد قال القدوة عندنا : إن اليد التى سمرها اليهود فى الخشبة هى اليد التى عجنّت طين آدم وخلقته ، وهى اليد التى شبرت السماء ، وهى اليد التى كتبت التوراة لموسى ! قالوا وقد وصفوا صنيع اليهود به وهذه ألفاظهم : « وإنهم لطموا الإله وضربوه على رأسه » . قالوا : « وفى بشارة الأنبياء به أن الإله تحبل به امرأة عذراء وتلده ويؤخذ ويصلب ويقتل »^(٣) ، قالوا : وأما « سنهدوس » دون الأمم ، قد اجتمع عليه سبعمائة من الآباء وهم القدوة وفيه : « أن مريم حبلت بالإله وولدت وأرضعته وسقته وأطعمته » ..

قالوا : « وعندنا أن المسيح ابن آدم وهو ربه وخالقه ورازقه ، وابن ولده إبراهيم وربه وخالقه ورازقه ، وابن إسرائيل وربه وخالقه ورازقه ، وابن مريم وربها وخالقها ورازقها » . قالوا : « وقد قال علماؤنا ومن هو القدوة عند جميع طوائفنا : اليسوع فى البدء ولم يزل كلمة ، والكلمة لم تنزل الله ، والله هو الكلمة ، فذاك الذى ولدته مريم وعايته الناس وكان بينهم هو الله وهو ابن الله وهو كلمة الله » ، هذه ألفاظهم ، قالوا : « فالقديم الأزلى خالق السموات والأرض هو الذى عايته الناس بأبصارهم ولمسوه بأيديهم ، وهو الذى حبلت به مريم وخاطب الناس من بطنها حيث قال للأعمى : أنت تؤمن بابن الله ؟ قال الأعمى : ومن هو حتى أؤمن به ؟ قال : هو المخاطب لك ، ابن مريم ، فقال : آمنت بك وخر ساجداً »^(٤) .

(١) انظر النص الكامل فى : الجواب الصحيح لابن نيمية [٣١٩/٢] والبداية والنهاية [١٠٢/٢] والخريدة النفيسة فى تاريخ الكنيسة [٢٩٣/١ ، ٢٩٤] . والمختار فى الرد على النصارى للحافظ [ص ٤٥] والنصيحة الإيمانية [ص ٦٨ ، ٦٩] .

(٢) سئل الشيء من الشيء : انتزعه وأخرجه برفق . واستل الشيء : سئل .

(٣) يشير بذلك إلى ما ورد فى إشعياء الإصحاح السابع وسيرد تعليق على هذه القضية فى تفسير النصارى لكلمة « عما نوتيل » . (١) انجيل يوحنا [٩ : ٣٥ - ٣٨] .

قالوا : « فالذى حبلت به مريم هو الله وابن الله ، وكلمة الله » قالوا : « وهو الذى ولد ورضع وفطم وأخذ وصلب وصفع وكثفت يده سمر وبصق فى وجهه ومات ودفن وذاق ألم الصلب والتسمير والقتل لأجل خلاص النصارى من خطاياهم » .

قالوا : « وليس المسيح عند طوائفنا الثلاثة بنى ولا عبد صالح بل هو رب الأنبياء وخالقهم وباعثهم ومرسلهم وناصرهم ومؤيدهم ورب الملائكة » .

قالوا : « وليس مع أمه بمعنى الخلق ، التدبير ، اللطف والمعونة ، فإنه لا يكون لها بذلك مزية على سائر الإناث ولا الحيوانات ولكنه معها مجلها به واحتواء بطنها عليه ؛ فلهذا فارقت إناث جميع الحيوانات وفارق ابنها جميع الخلق ، فصار الله وابنه الذى نزل من السماء وحبلت به مريم وولدت إلهاً واحداً ومسيحاً واحداً ورباً واحداً وخالقاً واحداً لا يقع بينهما فرق ولا يطل الاتحاد بينهما بوجه من الوجوه لا فى حبل ولا فى ولادة ولا فى حال نوم ولا مرض ولا صلب ولا موت ولا دفن بل هو متحد به فى حال الحبل ، فهو فى تلك الحال مسيح واحد وخالق واحد وإله واحد ورب واحد ، وفى حال الولادة كذلك ، وفى حال الصلب والموت كذلك » .

قالوا : « فمننا من يطلق فى لفظه وعبارته حقيقة هذا المعنى فيقول : مريم حبلت بالإله ، وولدت الإله ، ومات الإله . ومننا من يمتنع من هذه العبارة لبشاعة لفظها ويعطى معناها وحقيقتها ، ويقول : مريم حبلت بالمسيح فى الحقيقة ، وولدت المسيح فى الحقيقة ، وهى أم المسيح فى الحقيقة ، والمسيح إله فى الحقيقة ، ورب فى الحقيقة ، وابن الله فى الحقيقة ، وكلمة الله فى الحقيقة ، لا ابن لله فى الحقيقة سواه ، ولا أب للمسيح فى الحقيقة إلا هو » .

قالوا : « فهؤلاء يوافقون فى المعنى قول من قال : حبلت بالإله وولدت الإله وقتل الإله وصلب الإله ، ومات ودفن ، وإن منعوا اللفظ والعبارة » .

قالوا : « وإنما منعنا هذه العبارة التى أطلقها إخواننا ، لئلا يتوهم علينا إذا قلنا : حبلت بالإله وولدت الإله وألم الإله ومات الإله أن هذا كله حل ونزل بالإله الذى هو آب ولكننا نقول حل هذا كله ونزل بالمسيح والمسيح عندنا وعند طوائفنا إله تام من إله تام من جوهر أبيض ، فنحن وإخواننا فى الحقيقة شئ واحد لا فرق بيننا إلا فى العبارة فقط » .

قالوا : « فهذا حقيقة ديننا وإيماننا ، والآباء والقديسة قد قالوه قبلنا وسنوه لنا مهدوه وهم أعلم بالمسيح منا » اهـ .

لا تختلف المثلثة عباد الصليب من أولهم إلى آخرهم أن المسيح ليس بنى ولا عبد صالح

ولكنه إله حق من إله حق من جوهر أبيه ، وأنه إله تام من إله تام ، إنه خالق السموات والأرضين ، والأولين والآخرين ورزقهم ومحبيهم ومميتهم وباعثهم من القبور وحاشرهم ومحاسبهم ومثيبهم ومعاقبهم .

والنصارى تعتقد أن الآب المخلع من ملكه كله وجعله لابنه ، فهو الذى يخلق ويرزق ويميت ويحيى ويدبر أمر السموات والأرض ، ألا تراهم يقولون فى أمانتهم : « ابن الله وبكر أبيه ، وليس بمصنوع - إلى قولهم : بيده أتقنت العوالم وخلق كل شيء - إلى قولهم - : وهو مستعد للمجيء تارة أخرى لفصل القضاء بين الأموات والأحياء » ؟ ويقولون فى صلواتهم ومناجاتهم : « أنت أيها المسيح اليسوع تحيينا وترزقنا وتخلق أولادنا وتقيم أجسادنا وتبعثنا ونجازينا » .

المسيح يعلن بشريته وينفى إلهيته

وقد تضمن هذا كله تكذيبهم الصريح للمسيح وإن أوهمتهم ظنونهم الكاذبة أنهم يصدقونه فإن المسيح قال لهم : « إن الله ربي وربكم ، وإلهي وإلهكم »^(١) ، فشهد على نفسه أنه عبد لله مربوب مصنوع ، كما أنهم كذلك ، وإنه مثلهم فى العبودية والحاجة والفاقة إلى الله ، وذكر أنه رسول الله إلى خلقه كما أرسل الأنبياء قبله ، ففى إنجيل يوحنا أن المسيح قال فى دعائه : « إن الحياة الدائمة إنما تجب للناس بأن يشهدوا أنك أنت الله الواحد الحق وأنتك أرسلت يسوع المسيح »^(٢) ، وهذا حقيقة شهادة المسلمين أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله .

وقال لنبى إسرائيل : « تريدون قتلى وأنا رجل قلت لكم الحق الذى سمعت الله يقول »^(٣) ، فذكر ما غايته أنه رجل بلغهم ما قاله الله ، ولم يقل : وأنا إله ولا ابن الإله على معنى التوالد .

وقال : « إني لم أجيء لأعمل بمشيئة نفسى ولكن بمشيئة من أرسلنى »^(٤) وقال : « إن الكلام الذى تسمعون منى ليس من تلقاء نفسى ، ولكن من الذى أرسلنى ، والويل لى إن قلت شيئاً من تلقاء نفسى ولكن بمشيئة هو من أرسلنى »^(٥) . وكان يواصل العبادة من الصلاة والصوم ويقول : « ما جئت لأخدم ، وإنما جئت لأخدم »^(٦) ، فأنزل نفسه بالمنزلة التى أنزله الله بها هى منزلة الخدام .

(١) يوحنا [١٧/٢٠] ونفسه : « ولكن اذهبى إلى إخوتى وقول لهم إني أصدق إلى أبى وأبيكم ، وإلهي وإلهكم » .

(٢) يوحنا [٣ : ١٧] .

(٣) يوحنا [٥ : ٣٠] .

(٤) يوحنا [٨ : ٤٠] .

(٥) متى [٢٨ : ٢٠] .

(٦) يوحنا [١٦ : ١٨ - ١٦] .

وقال : « لست أدين العباد بأعمالهم ولا أحاسبهم بأعمالهم ، ولكن الذى أرسلنى هو الذى يلى ذلك منهم »^(١) ، كل هذا فى الإنجيل الذى بأيدي النصارى .

وفيه أن المسيح قال : « يارب قد علموا أنك قد أرسلتنى ، وقد ذكرت لهم اسمك »^(٢) ، فأخبر أن الله ربه وأنه عبده ورسوله .

وفيه : « أن الله الواحد رب كل شيء ، أرسل من أرسل من البشر إلى جميع العالم ليقبلوا إلى الحق » .

وفيه أنه قال : « إن الأعمال التى أعمل هى الشهادات لى بأن الله أرسلنى إلى هذا العالم »^(٣) .

وفيه : « ما أبعدنى وأتعبنى إن أحدثت شيئاً من قبل نفسى ، ولكن أتكلم وأجيب بما علمنى ربي »^(٤) .

وقال : « إن الله مسحنى وأرسلنى ، وأنا عبد الله ، وإنما أعبد الله الواحد ليوم الخلاص »^(٥) .. وقال : « إن الله عز وجل ما أكل ولا يأكل وما شرب ولا يشرب ولم ينم ولا ينام ولا ولد له ولا يلد ولا يولد ولا رآه أحد ولا يراه أحد إلا مات »^(٦) ، وبهذا يظهر لك سر قوله تعالى فى القرآن : ﴿ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ ﴾ [المائدة : ٧٥] ، تذكرنا للنصارى بما قال لهم المسيح . وقال فى دعائه لما سأله ربه أن يحى الميت : « أنا أشكرك وأحمدك لأنك تجيب دعائى فى هذا الوقت وفى كل وقت ، فأسألك أن تحى هذا الميت ليعلم بنو إسرائيل أنك أرسلتنى وأنتك تجيب دعائى »^(٧) .

وفى الإنجيل أن المسيح حين خرج من السامرة ولحق بالجليل^(٨) قال : « لم يكرم أحد من الأنبياء فى وطنه »^(٩) فلم يزد على دعوة النبوة .

وفى إنجيل لوقا : « لم يقتل أحد من الأنبياء فى وطنه فكيف تقتلوننى »^(١٠) .

(٣) يوحنا [٣٦ : ٥] . (١) يوحنا [٣ : ١٧ ، ١٨ ، ٥ : ٣٠] .

(٤) يوحنا [٧ : ١٦ - ١٩] . (٢) يوحنا [١٧ : ٦ - ٩] .

(٥) لوقا [٤ : ١٨] .

(٦) يوحنا [١ : ١٨] ونصه : « الله لم يره أحد قط » . كذلك فإن صورة الإله فى أسفار التوراة تؤكد على وجود هذه الصفات .

(٧) يوحنا [١١ : ٤١ - ٤٣] .

(٨) فى المخطوطة « بالجلجال » وهو صواب ، لكن الترجمة الحديثة « بالجليل » .

(٩) متى [١٣ : ٥٧] ولوقا [٤ : ٢٤] ويوحنا [٤ : ٤٣ ، ٤٤] .

(١٠) مما يؤكد اختلاف الأنجيل المعتمدة عند النصارى ما يرد بين رواياتها من اضطراب ، ففى متى ولوقا ما يفيد أن المسيح رجع من الأردن إلى الجليل ثم إلى الناصرة ، أما رواية يوحنا فتفيد أنه رجع من السامرة إلى الجليل ومنها إلى الناصرة .

وفي إنجيل مرقس : « أن رجلاً أقبل إلى المسيح وقال : أيها المعلم الصالح أى خير أعمل لأنال الحياة الدائمة ؟ فقال له المسيح : لم قلت صالحاً ؟ إنما الصالح الله وحده ، وقد عرفت الشروط ، لا تسرق ولا تزنى ولا تشهد بالزور ولا تُحْنُ ، وأكرم أباك وأمك »^(١) .

وفي إنجيل يوحنا أن اليهود لما أرادوا قبضه رفع بصره إلى السماء وقال : « قد دنا الوقت يا إلهي فشرفتني لديك ، واجعل لى سبيلاً أن أملك كل من ملكنتى الحياة الدائمة ، وإنما الحياة الباقية أن يؤمنوا بك إلهاً واحداً وبالمسيح الذى بعثت وقد عظمتك على أهل الأرض واحتملت الذى أمرتنى به فشرفتني »^(٢) ، فلم يدع سوى أنه عبد مرسل مأمور مبعوث .

وفي إنجيل متى : « لا تدعوا لكم أباً على الأرض فإن أباكم واحد الذى فى السماء ، ولا تدعوا معلمين فإنما معلمكم المسيح وحده »^(٣) ، والآب فى لغتهم الرب المربى ، أى لا تقولوا إلهكم وربكم فى الأرض ولكنه فى السماء ، ثم أنزل نفسه بالمتزلة التى أنزله بها ربه ومالكة وهو أن غايته أنه يعلم فى الأرض وإلههم هو الذى فى السماء .

وفي إنجيل لوقا حين دعا الله فأحيا ولد المرأة فقالوا : « إن هذا النبى لعظيم ، وإن الله قد تفقد أمته »^(٤) . وفي إنجيل يوحنا أن المسيح أعلن صوته فى البيت وقال لليهود : « قد عرفتمونى وموضعى ، ولم آت من ذاتى ، ولكن بعثنى الحق وأنتم تجهلون ، فإن قلت إني أجهل كنت كاذباً مثلكم وأنا أعلم وأنتم تجهلون أنى منه وهو بعثنى »^(٥) ، فما زاد فى دعواه على ما ادعاه الأنبياء فأمسكت الثلاثة قوله : « إني منه » وقالوا : إله حق من إله حق . وفي القرآن : ﴿ رَسُوْلٌ مِّنْ اللّٰهِ ﴾ [البينة : ٢] ، وقال هود : ﴿ وَلَكِنِّىْ رَسُوْلٌ مِّنْ رَّبِّ الْعٰلَمِيْنَ ﴾ [الأعراف : ٦٧] ، وكذلك قال صالح ! ولكن أمة الضلال كما أخبر الله عنهم يتبعون المشابه يردون المحكم . وفي الإنجيل أيضاً أنه قال لليهود وقد قالوا له : ﴿ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللّٰهِ ﴾ ، فقال لهم : « لو كان الله أباكم لأطعتمونى لأنى رسول منه خرجت مقبلاً ولم أقبل من ذاتى ولكن هو بعثنى ، لكنكم لا تقبلون وصيتى وتعجزون عن سماع كلامى ، إنما أنتم أبناء الشيطان وتريدون إتمام شهواته »^(٦) .

وفي الإنجيل : « أن اليهود أحاطت به وقالت له : إلى متى تخفى أمرك إن كنت المسيح الذى نتظره فأعلمنا بذلك »^(٧) ؟ ولم تقل : إن كنت الله أو ابن الله فإنه لم يدع ذلك ولا فهمه عنه أحد من أعدائه ولا أتباعه .

(١) مرقس [١٠ : ١٧ - ١٩] .

(٢) يوحنا [١٧ : ١ - ٤] .

(٣) متى [٢٣ : ٨ - ١٠] .

(٤) يوحنا [٨ : ٤٢ - ٤٤] .

(٥) لوقا [٧ : ١٦] .

(٦) يوحنا [١٠ : ٢٤] .

(٧) يوحنا [٧ : ٢٨ ، ٢٩ - ٨ : ٥٥ ، ٥٦] .

وفي الإنجيل أيضاً : « أن اليهود أرادوا القبض عليه فبعثوا لذلك الأعوان وأن الأعوان رجعوا إلى قوادهم فقالوا لهم : لِمَ لَمْ تأخذوه ، فقالوا : ما سمعنا آدمياً أنصف منه ، فقالت اليهود : وأنتم أيضاً مخدمون أترون أنه آمن به أحد من القواد أو من رؤساء أهل الكتاب ؟ فقال لهم بعض أكابرهم : أترون كتابكم يحكم على أحد قبل أن يسمع منه ؟ فقالوا له : اكشف الكتب ترى أنه لا يجيء من الجليل نبي »^(١) ، فما قالت اليهود ذلك إلا وقد أنزل نفسه بالمنزلة التي أنزله بها ربه ومالكة أنه نبي ، ولو علمت من دعواه الإلهية لذكرت ذلك له وأنكرته عليه وكان أعظم أسباب التنفير عن طاعته ؛ لأن كذبه كان يعلم بالحس والعقل والفطرة واتفاق الأنبياء .

ولقد كان يجب لله سبحانه - لو سبق في حكمته أنه يبرز لعباده ، وينزل عن كرسى عظمته ، ويباشرهم بنفسه - أن لا يدخل في فرج امرأة ، ويقم في بطنها بين البول والنحو والدم عدة أشهر ، وإذ قد فعل ذلك لا يخرج صبيّاً صغيراً ، يرضع ويكنى ، وإذ قد فعل ذلك لا يأكل مع الناس ويشرب معهم وينام ، وإذ قد فعل ذلك ، فلا يبول ولا يتغوط ويمتنع من المرأة إذ هي منقصة ابتلى بها الإنسان في هذه الدار لنقصه وحاجته ، وهو تعالى المختص بصفات الكمال المنعوت بنعوت الجلال ، الذي ما وسعته سمواته ولا أرضه ؛ وكرسيه وسع السموات والأرض ، فكيف وسعه فرج امرأة . تعالى الله رب العالمين .. وكلكم متفقون على أن المسيح كان يأكل ويشرب ويبول ويتغوط وينام .

== أسئلة نريد جوابها ==

في معشر الثلاثة وعباد الصليب : أخبرونا من كان المسك للسموات والأرض حين كان ربها وخالقها مربوطاً على خشبة الصليب وقد شدت يداه ورجلاه بالحبال وسمرت اليد التي أتقنت العوالم ، فهل بقيت السموات والأرض خلواً من إلهها وفاطرها وقد جرى عليه هذا الأمر العظيم ؟

أم تقولون استخلف على تدبيرها غيره وهبط عن عرشه لربط نفسه على خشبة الصليب ولينوق حر المسامير وليوجب اللعنة على نفسه حيث قال في التوراة : « ملعون من تعلق بالصليب »^(١) ، أم تقولون : كان هو المدبر لها في تلك الحال ، فكيف وقد مات ودفن ؟ أم تقولون - وهو حقيقة قولكم - لا ندرى ولكن هذا في الكتب وقد قاله الآباء وهم القدوة والجواب عليهم ؟

فنقول لكم وللآباء : معاصر الثلاثة عباد الصليب ! ما الذي دلکم على إلهية المسيح ؟ فإن

(١) يوحنا [٧ : ٣٢ - ٤٢] .

(٢) تثنية [٢١ : ٢٣] .

كنتم استدللتم عليها بالقبض من أعدائه عليه ، وسوقه إلى خشبة الصليب على رأسه تاج من الشوك وهم يصبقون في وجهه ويصفعونه ، ثم أركبوه ذلك المركب الشنيع وشدوا يديه ورجليه بالحبال ، ضربوا فيها المسامير وهو يستغيث وتعلق ثم فاضت نفسه وأودع ضريحه ؛ فما أصححه من استدلال عند أمثالكم ممن هم أضل من الأنعام وهم عار على جميع الأنام ؟ **وإن قلم :** إنما استدللنا على كونه إلهاً بأنه لم يولد من البشر ولو كان مخلوقاً لكان مولوداً من البشر ، فإن كان هذا الاستدلال صحيحاً فآدم إله المسيح ، وهو أحق بأن يكون إلهاً منه لأنه لا أم له ولا أب والمسيح له أم ، وحواء أيضاً أجعلوها إلهاً خامساً لأنها لا أم لها وهي أعجب من خلق المسيح ؟

والله سبحانه قد نُوِّع خلق آدم وبنيه إظهاراً لقدرته وأنه يفعل ما يشاء ، فخلق آدم لا من ذكر ولا من أنثى ، وخلق زوجه حواء من ذكر لا من أنثى ، وخلق عبده المسيح من أنثى لا من ذكر ، وخلق سائر النوع من ذكر وأنثى .

وإن قلم : استدللنا على كونه إلهاً بأنه أحيا الموتى ، ولا يحيينهم إلا الله . فاجعلوا موسى إلهاً آخر ، فإنه أتى من ذلك بشيء لم يأت المسيح بنظيره ولا ما يقاربه ، وهو جعل الخشبة حيواناً عظيماً ثعباناً ، فهذا أبغ وأعجب من إعادة الحياة إلى جسم كانت فيه أولاً ، فإن **قلم :** هذا غير إحياء الموتى فهذا اليسع النبي أتى بإحياء الموتى وهم يقرون بذلك^(١) ، وكذلك إيلياء النبي أيضاً أحيا صبيّاً بإذن الله^(٢) ، وهذا موسى قد أحيا بإذن الله السبعين الذين ماتوا من قومه^(٣) ، وفي كتبكم من ذلك كثير عن الأنبياء والحواريين^(٤) ، فهل صار أحد منهم إلهاً بذلك ؟

(١) تحدثنا التوراة أن اليسع كان ينزل ضيفاً على إحدى الأرمال ، وأثناء وجوده عندها مات ابنها فأحياه اليسع ، وكان اليسع يشفى البرص ، بل ويصيب بالبرص الأصحاء ، شفى اليسع نعمان قائد جيش ملك آرام من البرص ، فرجع لحمه كلحم صبي صغير [الملوك الثاني ٥ : ١ - ١٤] كما أبرأ في مرة واحدة عدداً كبيراً من العميان [الملوك الثاني ٦ : ٢٠] . انظر المسيح إنسان أم إله لحمد مجدى مرجان [١٠١ - ١٠٣] .

(٢) نبي الله إيلياء ، الذى يرجع المفسرون أنه إدريس عليه السلام الذى ورد ذكره في القرآن « اختصه جل وعلا بمعجزات كثيرة تماثل معجزات عيسى وموسى » أحيا عيسى الموتى وأحيا إيليا الأموات ، ورفع عيسى إلى السماء وصعد إيليا أيضاً إلى السماء ، وشق موسى البحر بعصاه وفتح إيليا المياه ، وكانت دعوات إيليا تفتك بأعدائه دون انتظار .. يتحدثنا كتاب الملوك الأول عن إحيائه لأحد الموتى [١٧ : ٢٠ - ٢٤] يتحدثنا الملوك الثاني عن صعوده حياً إلى السماء [٢ : ١ - ١١] وكما فلق موسى البحر بعصاه ، شق إيليا المياه وأحياها إلى يابس سار فيه هو وتلميذه اليسع [الملوك الثاني ٢ : ٨] . انظر المسيح إنسان أم إله [٩٩ - ١٠١] .

(٣) انظر قصص الأنبياء للشيخ عبد الوهاب النجار [ص ٢٩٢ - ٢٩٤] .

(٤) بطرس خليفة عيسى يشفى المقعدين ، ويرى العرج ، ويحيى الموتى ، ويميت الأحياء . [أعمال الرسل ٩ : ٣٢ - ٣٥ ، ٣ : ١ - ٨ ، ٩ : ٣٦ - ٤١ ، ٥ : ١٥ ، ٤ : ٣٤ - ٣٥ ، ١ : ١٠] . وهذا بولس لم يكن تلميذاً لعيسى ولم يشاهده البتة ، بل كان عدواً لأنباع عيسى ، مضطهداً لهم ، ثم صار فجأة داعياً لعيسى وصديقاً للتلاميذ ، يقولون عنه إنه كان =

وإن قلم : جعلناه إلهاً للمعجائب التي ظهرت على يديه فمعجائب موسى أعجب وأعجب ، وهذا إيلياء النبي بارك على دقيق المعجوز ودهنها فلم ينفذ ما في جراها من الدقيق وما في قارورتها من الدهن سبع سنين^(١).

وإن جعلتموه إلهاً لكونه أطعم من الأرغفة اليسيرة آلاًفاً من الناس فهذا موسى قد أطعم أمته أربعين سنة من المن والسلوى^(٢) ! وهذا محمد بن عبد الله قد أطعم العسكر كله من زاد يسير جداً حتى شبعوا وملأوا أوعيتهم ، وسقاهم كلهم من ماء يسير لا يملأ اليد حتى ملأوا كل سقاء في العسكر ، وهذا منقول عنه بالتواتر^(٣).

وإن قلم : جعلناه إلهاً لأنه صاح بالبحر فسكنت أمواجه ، فقد ضرب موسى البحر بعصاه فانفلق اثني عشر طريقاً وقام الماء بين الطرق كالحيطان ، وفجر من الحجر الصلد اثني عشر عيناً سارحة^(٤) ! وإن جعلتموه إلهاً لأنه أبرأ الأكهم والأبرص^(٥) فإحياء الموتى أعجب من ذلك ، وآيات موسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أعجب من ذلك .

وإن جعلتموه إلهاً لأنه ادعى ذلك فلا يخلو إما أن يكون الأمر كما تقولون عنه أو يكون إنما ادعى العبودية والافتقار وأنه مربوب مصنوع مخلوق ، فإن كان كما ادعيت عليه فهو أخو المسيح الدجال وليس بمؤمن ولا صادق ، فضلاً عن أن يكون نبياً كريماً وجزاؤه جهنم وبئس المصير ، كما قال تعالى : ﴿ وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَلَذِكْ نُجْزِيهِ جَهَنَّمَ ﴾ [الأنبياء : ٢٩] ، وكل من ادعى الإلهية من دون الله فهو من أعظم أعداء الله كفرعون ونمرود وأمثالهما من أعداء الله ، فأخرجتم المسيح عن كرامة الله ونبوته ورسالته وجعلتموه من أعظم أعداء الله ، ولهذا كنتم أشد الناس عداوة للمسيح في صورة محب مؤال !

ومن أعظم ما يعرف به كذب المسيح الدجال أنه يدعى الإلهية فيبغث الله عبده ورسوله مسيح الهدى ابن مريم فيقتله ، ويظهر للخلائق أنه كان كاذباً مفترياً ولو كان إلهاً لم يقتل فضلاً عن أن يصلب ويسمر ويصق في وجهه !

وإن كان المسيح إنما ادعى أنه عبد ونبى ورسول كما شهدت به الأنجيل كلها ودل عليه

١ يرى المرضى ويحيى الموتى ، وأنه كان محصناً ضد كافة أنواع الأذى لا تقربه الحيات ولا تناله العقارب . [أعمال الرسل : ١٩ : ١١ ، ١٢ ، ٢٠ : ٩ - ١١ ، ١٤ : ٨ - ١٠] [انظر المسيح إنسان أم إله ص ١٠٧ - ١١٢] .

(١) سفر الملوك الأول [١٧ : ١٠ - ٢٤] .

(٢) انظر : متى [١٤ : ١٥ - ٢١] ، مر [٦ : ٣٤ - ٤٤] ، لو [٩ : ١١ - ١٧] ، يو [٦ : ٥ - ١٣] ، خروج [١٦ : ٤ - ٢٦] ، الملوك الثاني [٤ : ٤٢ - ٤٤] .

(٣) انظر المسيح إنسان أم إله ص ١١٤ - ١١٩ .

(٤) فيما يتعلق بمعجزة البحر وسكونه وانغلاقه ، وانفجار العيون من الحجر الصلد انظر : مرقس [٤ : ٣٧ - ٤٠] ، خروج [١٤ : ٢١ - ٢٢ ، ١٧ : ٥ - ٧] .

(٥) متى [٨ : ١ - ٧ ، ٨ : ١٤ ، ١٥] يوحنا [٨ : ١ - ١٠] .

العقل والفطرة وشهدتم أنتم له بالإلهية - وهذا هو الواقع - فلم تأتوا على إلهيته ببينة غير تكذيبه في دعواه ، وقد ذكرتم عنه في أناجيلكم في مواضع عديدة ما يصرح بعبوديته وأنه مربوب مخلوق ، وأنه ابن البشر ، وأنه لم يدع غير النبوة والرسالة ، فكذبتموه في ذلك كله وصدقتم من كذب على الله وعليه !

وإن قلتم : إنما جعلناه إلهاً لأنه أخبر بما يكون بعده من الأمور فكذلك عامة الأنبياء ، وكثير من الناس يخبر عن حوادث في المستقبل جزئية ويكون ذلك كما أخبر به ، ويقع من ذلك كثير للكهان والمنجمين والسحرة !

وإن قلتم : إنما جعلناه إلهاً لأنه سمي نفسه ابن الله في غير موضع من الإنجيل كقوله : « إني ذاهب إلى أبي »^(١) ، « وإني سائل أبي »^(٢) ، ونحو ذلك وابن الإله إله ، قيل : فاجعلوا أنفسكم كلكم آلهة في غير موضع إنه سماه « أباه ، أباهم » كقوله : « أذهب إلى أبي وأبيكم »^(٣) ، وفيه : « ولا تدعوا لكم أباً على الأرض فإن أباكم واحد الذي في السماء »^(٤) ، وهذا كثير في الإنجيل وهو يدل على أن الأب عندهم : الرب !^(٥) .

وإن جعلتموه إلهاً لأن تلاميذه ادّعوا ذلك له وهم أعلم الناس به كذبتهم أناجيلكم التي بأيديكم فكلها صريحة أظهر صراحة بأنهم ما ادّعوا له إلا ما ادّعه لنفسه من أنه عبد ، فهذا « متى » يقول في الإصحاح الثاني عشر^(٦) من إنجيله محتجاً بنبوة إشعياء في المسيح عن الله عز وجل : « هذا عبدي الذي اصطفيته وحبيبي الذي ارتاحت نفسي له »^(٧) ، وفي

(٣) يوحنا [٢٠ : ١٧] .

(١) يوحنا [٢٠ : ١٧] .

(٤) متى [٩ : ٢٣] .

(٢) يوحنا [٩ : ١٧] .

(٥) « ونبحث عن تفسير كلمة «رب» التي أطلقت على عيسى فوجد التفسير في صلب الأناجيل نفسها ، ففي إنجيل يوحنا فالتفت يسوع ونظرهما يتبعان فقال لهما : ماذا تطلبان ؟ فقال : ربي الذي تسميه يا معلم أين تمكث ؟ [يوحنا ١ : ٣٨] لم يشأ يوحنا أن يطلق كلمة «رب» على عيسى من غير تفسير ، فقد خشي أن يتصور الناس أن عيسى إله أو بعض إله .. ومرة ثانية يورد يوحنا حواراً بين عيسى ومريم المجدلية ، تطلق فيها الأخيرة على عيسى لفظ «رب» ويحرص يوحنا أيضاً على تفسير اللفظ خلال الحديث درواً للشك والشبهة [يوحنا ١٦ : ١٧] . وحتى الآن نرى الكثيرين منا يتحدثون عن عائل الأسرة فيقول : رب الأسرة ورب الدار ولم يدر بخلد أحد عند سماعه هذه الكلمة أن رب الأسرة هو معبود الأسرة أو أن رب الدار هو إله الدار ، بل إن هذا اللفظ لا يعنى سوى التكريم والتقدير للشخص الذي يطلق عليه ، وما أطلق على عيسى إلا تقديرأ له بصفته المعلم والنبي ، ولم يمن به أحد على الإطلاق إشراكاً بالله أو تأليهاً لمن أطلق عليه] . [المسيح إنسان أم إله ص ١٩٣ - ١٩٧] .

(٦) في المخطوطة « في الفصل التاسع » والصواب ما أثبتناه .

(٧) متى [١٢ : ١٨ - ٢١] ونصه : « هو ذا فتاى الذي اخترته . حبيبي الذي سرت به نفسي . أضع روحي عليه فيخبر الأمم بالحق .. وهو مقتبس من سفر إشعياء ونصه : وهو ذا عبدي الذي أعضده مختاراً الذي سرت به نفسي . وضعت روحي عليه فيخرج الحق للأمم .. [٤٢ : ١ - ٤] » وقد فسر ابن القيم البشارة بأنها تنطبق وتشير إلى المسيح مع أنها واضحة الإشارة إلى محمد ﷺ . وما يؤكد انطباق هذه البشارة على سيدنا محمد ﷺ أن ابن القيم نفسه قد أورد هذا النص في حديثه عن البشارات عن محمد ﷺ في الكتب المقدسة ، بل إنه شرح هذه البشارة شرحاً مستفيضاً في الوجه الثالث والعشرون من السؤال الثالث . وهذا يدل على تناقض وقع فيه ابن القيم في تأويله للبشارات .

الإصحاح الحادى عشر^(١) من إنجيله : « إني أشكرك يارب »^(٢) ، « ويارب السموات والأرض » . وهذا « لوقا » يقول فى آخر إنجيله : « إن المسيح عرض لاثنتين من الناس فى الطريق وهما محزونان ، فقال لهما وهما لا يعرفانه : ما بالكما محزونين ؟ فقالا : كأنك غريب فى بيت المقدس ، إذ كنت لا تعلم ما حدث فيها فى هذه الأيام من أمر الناصرى فإنه كان رجلاً نبياً قوياً تقياً فى قوله وفعله عند الله وعند الأمة أخذوه وقتلوه »^(٣) ، وهذا كثير جداً فى الإنجيل !

وإن قلتم : إنما جعلنا إلهاً لأنه صعد إلى السماء .. فهذا أختوخ وإلياس قد صعدا إلى السماء وهما حيان مكرمان لم تشكهما شوكه ولا طمع فيهما طامع^(٤) .
والمسلمون مجمعون على أن محمداً ﷺ صعد إلى السماء وهو عبد محض^(٥) .
وهذه الملائكة تصعد إلى السماء ، وهذه أرواح المؤمنين تصعد إلى السماء بعد مفارقتها الأبدان ولا تخرج بذلك عن العبودية ، وهل كان الصعود إلى السماء مخرج عن العبودية بوجه من الوجوه ؟

وإن جعلتموه إلهاً لأن الأنبياء سمته إلهاً ورباً وسيداً ونحو ذلك فلم يزل كثير من أسماء الله عز وجل تقع على غيره عند جميع الأمم وفى سائر الكتب ، وما زالت الروم والفرس والهند والسرانيون والعبرانيون والقبط وغيرهم يسمون ملوكهم آلهة وأرباباً^(٦) ، وفى السفر الأول من التوراة « أن بنى الله دخلوا على بنات الناس ورأوهن بارعات الجمال فتزوجوا منهن »^(٧) ، وفى السفر الثانى من التوراة فى قصة الخروج من مصر « إني جعلتك إلهاً لفرعون »^(٨) ، وفى المزمور الثانى والثمانين لداود « قام الله لجميع الإلهة »^(٩) هكذا فى

(١) فى المخطوطة وفى الفصل الثامن ، والصواب ما أثبتناه .

(٢) متى [٢٥ : ١١] ونصه : « أحمداً أيها الأب رب السماء والأرض » .

(٣) لوقا [٢٤ : ١٣ - ٢٠] وقد ورد فى المخطوطة « عرض له ولآخر من تلاميذه فى الطريق ملك وهما ... والأصوب ما أثبتناه .

(٤) سفر التكوين [٥ : ٢٤] « وسار أختوخ مع الله ولم يوجد لأن الله أخذه » الملوك الثانى [٢٢ : ١١] « وفيما هما يسيران ويتكلمان إذا مركبة من نار وخيل من نار فصلت بينهما فصعد إليهما فى العاصفة إلى السماء » .

(٥) فى حادثة الإسراء والمعراج المعروفة .

(٦) يطلق لفظ « إله » فى الكتب المقدسة على بعض الأنبياء على سبيل المجاز تعبيراً عن قربهم من الله كما سائر أبناء الله الصالحين والبشر المؤمنين . وإطلاق لفظ إله على الأناس ورد كثيراً فى التوراة ، فقد أطلق على موسى كما أطلق على حكام وقضاة بنى إسرائيل ، وعلى غيرهم من الناس ، وكان يعنى فى نظرهم تكريم الشخص الموصوف به باعتباره قريباً من الله ، عاملاً بوصايه ، ودليلاً على القوة والرفعة والعلو . [المسيح إنسان أم إله ص ١٩٠ - ١٩٣] .

(٧) التكوين [٦ : ٢] .

(٨) خروج [٧ : ١] .

(٩) المزمير [٨٢ : ١] ونصه : « الله قائم فى مجمع . فى وسط الآلهة يقضى » .

العبرانية ، وأما من نقله إلى السريانية فإنه حرّفه فقال : « قام الله في جماعة الملائكة » ، وقال في هذا المزمور وهو يخاطب قوماً بالروح : « لقد ظننت أنكم آلهة وأنكم أبناء الله كلكم »^(١) ، وقد سمي الله سبحانه عبده بالملك ، كما سمي نفسه بذلك ، وسماه بالرؤوف الرحيم كما سمي نفسه بذلك ، وسماه بالعزیز وسمى نفسه بذلك ، واسم الرب واقع على غير الله تعالى في لغة أمة التوحيد ، كما يقال : هذا رب المنزل ورب الإبل ورب هذا المتاع ، وقد قال إشعياء : « عرف الثور من اقتناه والحمار مرتبط ربه ولم يعرف بنو إسرائيل »^(٢) .
وإن جعلتموه إلهاً لأنه صنع من الطين صورة طائر ثم نفخ فيها فصارت لحماً ودماً وطائراً حقيقة ولا يفعل هذا إلا الله ، قيل : فاجعلوا موسى بن عمران إله الآلهة فإنه ألقى عصا فصارت ثعباناً عظيماً ثم أمسكها بيده فصارت عصا كما كانت !

وإن قلم : جعلناه إلهاً لشهادة الأنبياء والرسل له بذلك ، قال دانيال^(٣) حيث سباهم بختنصر إلى أرض بابل بعد أربعمئة وثلاث وثمانين سنة^(٤) : « يأتي المسيح ويخلص الشعوب والأُمم »^(٥) ، وعند انتهاء هذه المدة أتى المسيح ، ومن يطبق تخليص الأُمم غير الإله التام ، قيل لكم : فاجعلوا جميع الرسل آلهة فإنهم خلصوا الأُمم من الكفر والشرك وخلصوهم من النار بإذن الله وحده ، ولا شك أن المسيح خلص من آمن به واتبعه من ذل الدنيا وعذاب الآخرة ، كما خلص موسى بنى إسرائيل من فرعون وقومه ، وخلصهم بالإيمان بالله واليوم الآخر من عذاب الآخرة ، وخلص الله سبحانه بمحمد بن عبد الله ﷺ عبده ورسوله من الأُمم والشعوب ما لم يخلصه نبي سواه فإن وجبت بذلك الإلهية لعيسى فموسى ومحمد أحق بها منه .
وإن قلم : أوجبنا له الإلهية لقول إشعياء^(٦) النبي عن ولادته : « وفي ذلك الزمان يقوم داود ابن ، وهو ضوء النور ، يملك الملك ، ويقيم الحق العدل في الأرض ، ويخلص من آمن

(١) المزمير [٨٢ : ٦ ، ٧] ونصه « أنا قلت إنكم آلهة وبنو العلى كلكم لكن مثل الناس يموتون وكأحد الرؤساء تسقطون » ليس هذا فقط ، بل إن لفظ إله أطلق أيضاً على البشر العاديين من القضاة والحكام الإسرائيليين فداود عليه السلام يسمى القضاة آلهة .. ومما يؤكد أن إطلاق لفظ الآلهة على الناس كان من قبيل المجاز المطلق ، يؤيد هذا ما حدث عند انحراف بعض هؤلاء الآلهة (قضاة إسرائيل) إذ أنهم بعد أن كانوا يقضون بين الناس بالحق وينفذون تعاليم الله ، انحرفوا عن جادة الصواب .. مما أغضب داود النبي عليهم ، فأخبرهم بحكم الله بخلع هذه الألقاب الشريفة عنهم ، وبأنهم لا يستحقون أن يتصفوا بصفات الآلهة أو أبناء الله ، بل يستحقون السقوط والخزى جزاء انحرافهم وسوء أفعالهم [. المسيح إنسان أم إله ص ١٩١ - ١٩٢] .
(٢) سفر إشعياء [١ : ٣] ونصه : « الثور يعرف قانيه . والحمار بعلف صاحبه . أما إسرائيل فلا يعرف شعبى لا يفهم » .
(٣) في الأصل « قال عزرا » والصحيح ما أثبتناه .

(٤) في المخطوطة « بعد أربعمئة واثنين وثمانين والصحيح ثلاث وثمانين . [السقا] .

(٥) ليس المراد بالمسيح في النص عيسى عليه السلام ، بل يشير إلى محمد ﷺ . انظر الوجه الثامن والعشرون من السؤال الثالث .

(٦) في المخطوطة « لقول إرمياء النبي » والنص في إشعياء لا إرميا .

به من اليهود ومن بنى إسرائيل ومن غيرهم ، ويقيم بيت المقدس من غير مقاتل ، ويسمى الإله^(١) ، فقد تقدم أن اسم الإله في الكتب المتقدمة وغيرها قد أطلق على غيره وهو بمنزلة الرب والسيد والآب ولو كان عيسى هو الله لكان أجل من أن يقال ويسمى الإله وكان يقول : وهو الله ، فإن الله سبحانه لا يعرف بمثل هذا ، وفي هذا الدليل الذي جعلتموه به إلهاً أعظم الأدلة على أنه عبد وأنه ابن البشر فإنه قال : « يقوم لداود ابن » فهذا الذي قام لداود هو الذي سمي بالإله ، فعلم أن هذا الاسم لمخلوق مصنوع مولود لا لرب العالمين وخالق السموات والأرضين .

وإن قلتم : إنما جعلناه إلهاً من جهة قول إشعياء النبي : « قل لصهيون وفرح وبتهلل فإن الله يأتي ويخلص الشعوب ويخلص من آمن به ويخلص مدينة بيت المقدس ويظهر الله ذراعه الطاهر فيها لجميع الأمم المتبدين ويجعلهم أمة واحدة ، ويصير جميع أهل الأرض خلاص الله لأنه يمسي معهم وبين أيديهم ويجمعهم إله إسرائيل^(٢) » ، قيل لهم : هذا يحتاج إلى أن يعلم أن ذلك في نبوة إشعياء بهذا اللفظ بغير تحريف للفظه ولا غلط في الترجمة ، وهذا غير معلوم ، وإن ثبت ذلك لم يكن فيه دليل على أنه إله تام وأنه غير مصنوع ولا مخلوق فإنه نظير ما في التوراة : « جاء الله من طور سيناء ، وأشرق من ساعير ، واستعلن من جبال فاران » ، وليس في هذا ما يدل على أن موسى ومحمداً إلهان والمراد بهذا مجيء دينه وكتابه وشرعه وهده ونوره . وأما قوله : « ويظهر ذراعه الطاهر لجميع الأمم المبددين » ففي التوراة مثل هذا وأبلغ منه في غير موضع^(٣) .

وأما قوله : « ويصير جميع أهل الأرض خلاص الله لأنه يمسي معهم ومن بين أيديهم » ، فقد قال في التوراة في السفر الخامس لبنى إسرائيل : « لا تهابوهم ولا تخافوهم لأن الله ربكم السائر بين أيديكم وهو محارب عنكم^(٤) » ، وفي موضع آخر قال موسى : « إن الشعب هو شعبك ، فقال : أنا أمضي أمامك ، فقال : إن لم تحض أنت أمامنا وإلا فلا تصعدنا من ههنا ، فكيف أعلم أنا وهذا الشعب أني وجدت نعمة كذا إلا بسورك معنا ؟^(٥) » ، وفي السفر الرابع : « أنك أصعدت هؤلاء بقدرتك فيقولون لأهل هذه الأرض الذين سمعوا أنك الله بين هؤلاء القوم الذين أنت يارب قد ظهرت لهم عيناً لعين وغمامك تغيم عليهم وبعمود

(١) إشعياء [٩ : ٦ - ٧] ونصه : « لأنه يولد لنا ولد ونعطي ابناً وتكون الرياسة على كتفه ويدعى اسمه عجيباً مشيراً إله قديراً أباً أبدياً رئيس السلام لئلا يهتدى على كرمي داود على مملكته لئلا يهتدى بالحق والبر من الآن إلى الأبد » .

(٢) إشعياء [٤٠ : ٤ ، ٤٠ : ٣ - ٥ ، ٩ - ١١] .

(٣) انظر إظهار الحق لرحمت الله الهندي [٤٧/٢ ، ٥٤] .

(٤) سفر التثنية [١ : ٢٩ ، ٣٠] . (٥) الخروج [١٣ : ٣٣ - ١٦] .

غمام تسير بين أيديهم نهراً وبعمود نار ليلاً»^(١) ، وفي التوراة أيضاً يقول الله لموسى : «إني آت إليك في غلظ الغمام لكي يسمع القوم مخاطبتى لك»^(٢) ، وفي الكتب الإلهية وكلام الأنبياء من هذا كثير .

وفيما حكى خاتم الأنبياء ﷺ عن ربه تبارك وتعالى أنه قال : «ولا يزال عبدى يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ، ورجله التى يمشى بها ، فبى يسمع ، وبى يبصر ، وبى يبطش ، وبى يمشى»^(٣) .

فصل : وإن قلم : جعلناه إلهاً لقول زكريا فى نبوته : «ترغى وافرحى يا بنت صهيون ، لأنى آتيت وأحل فيك وأترأى ، وتؤمن بالله فى ذلك اليوم الأتم الكثيرة ، ويكونون له شعباً واحداً ، ويحل هو فيهم ويعرفون أنى أنا الله القوى الساكن فيك ، ويأخذ الله فى ذلك اليوم المملك من يهوذا ويملك عليهم إلى الأبد»^(٤) .. قيل لكم : إن أوجبتم له الإلهية بهذا فلتجب لإبراهيم وغيره من الأنبياء ، فإن عند أهل الكتاب وأنتم معهم : «أن الله تحبى لإبراهيم واستعلن له وترأى له»^(٥) .

أما قوله : «وأحل فيك» لم يرد سبحانه بهذا حلول ذاته التى لا تسعها السموات والأرض فى بيت المقدس ، وكيف تحل ذاته فى مكان يكون فيه مقهوراً مغلوباً مع شرار الخلق ؟ كيف وقد قال : «يعرفون أنى أنا الله القوى الساكن فيك» ؟ أفترى عرفوا قوته بالقبض عليه وشده يديه بالحبال وربطه على خشبة الصليب ودق المسامير فى يديه ورجليه ووضع تاج الشوك على رأسه وهو يستغيث ولا يغاث ؟

وما كان المسيح يدخل بيت المقدس إلا وهو مغلوب مقهور مستخف فى غالب أحواله . ولو صح مجيء هذه الألفاظ صحة لا تدفع وصحت ترجمتها كما ذكروه لكان معناها أن معرفة الله والإيمان به وذكره ودينه وشرعه حل فى تلك البقعة ، وبيت المقدس لما ظهر فيه دين المسيح بعد رفعة يكن حاصل فيه من الإيمان بالله ومعرفة ما لم يكن قبل ذلك .

«وجاء الأمر» .. أن النبوات المتقدمة والكتب الإلهية لم تنطق بحرف واحد يقتضى

(٢) الخروج [١٩ : ٩] .

(١) العدد [١٤ : ١٣ - ١٥] .

(٣) صحيح . البخارى فى الرقاق . باب التواضع [٣٤٨/١١] بدون قوله «فبى يسمع ، وبى يبصر ، وبى يبطش ، وبى يمشى» وقد قال عنها الألبانى فى السلسلة الصحيحة : «ولم أر هذه الزيادة عند البخارى ولا عند غيره ممن ذكرنا من المخرجين ، وقد ذكرها الحافظ فى أثناء شرحه للحديث نقلاً عن الطوفى ولم يعرها لأحد» . [السلسلة الصحيحة ١٦٤٠] .

(٤) سفر زكريا [٢ : ١٠ - ١٣] .

(٥) الذى تحبى لإبراهيم ملاك الرب كما فى سفر التكوين [٢٢ : ١١ ، ١٥] .

أن يكون ابن البشر إلهاً تاماً .. إله حق من إله حق ، وأنه غير مصنوع ولا مربوب ، بل لم يخصه إلا بما خص به أخوه وأولى الناس به محمد بن عبد الله ﷺ في قوله : « إنه عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه » ، وكذب الأنبياء المتقدمة وسائر النبوات موافقة لما أخبر به محمد ﷺ ، وذلك كله يصدق بعضه بعضاً ، وجميع ما تستدل به المثلة عباد الصليب على إلهية المسيح من ألفاظ وكلمات في الكتب فإنها مشتركة بين المسيح وغيره كسميته أباً وكلمة وروح حق وإلهاً ، وكذلك ما أطلق من حلول روح القدس فيه وظهور الرب فيه أو في مكانه .

❦ وباء الحلول زحف إلى الجهمية وبعض الصوفية ❦

وقد وقع في نظير شركهم وكفرهم طوائف من المنتسبين إلى الإسلام ، واشتبه عليهم ما يحل في قلوب العارفين من الإيمان به ومعرفته ونوره وهداه فظنوا أن ذلك نفس ذات الرب ، رقد قال تعالى : ﴿ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [الروم : ٢٧] ، وهو ما في قلوب ملائكته وأنبيائه وعباده المؤمنين من الإيمان به ومعرفته ومحبه وإجلاله وتعظيمه ، وهو نظير قوله : ﴿ فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا ﴾ [البقرة : ١٣٧] ، وقوله : ﴿ وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴾ [الأنعام : ٣] ، وقوله : ﴿ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴾ [الزخرف : ٨٤] ، فأولياء الله يعرفونه ويحيونه ويجلوونه ، ويقال : هو في قلوبهم ..

والمراد محبه ومعرفته والمثل الأعلى في قلوبهم لا نفس ذاته وهذا أمر يعتاده الناس في مخاطبتهم ومحاوراتهم ، يقول الإنسان لغيره : أنت في قلبي ولا زلت في عيني .. كما قال القائل :

وَمِنْ عَجَبِ ، أَنِّي أَجِنُّ إِلَهُهُمْ وَأَسْأَلُ عَنْهُمْ مَنْ لَقِيتُ ، وَهُمْ مَعِيَ
وَتَطْلُبُهُمْ عَيْنِي ، وَهُمْ فِي سَوَادِهَا وَيَسْتَأْثِفُهُمْ قَلْبِي ، وَهُمْ بَيْنَ أَضْغَلِي

وقال آخر :

حَيَّاكَ فِي عَيْنِي ، وَذَكَرَكَ فِي قَلْبِي وَمَثَوَاكَ فِي قَلْبِي . فَأَيْنَ تَغِيبُ ؟

وقال آخر :

سَاكِنٌ فِي الْقَلْبِ يَغْمُرُهُ لَسْتُ أُنْسَاهُ فَأَذْكُرُهُ

وقال آخر :

إِنْ قُلْتُ : غَيْبٌ . فَقَلْبِي لَا يُصَدِّقُنِي إِذْ أَتَيْتُ فِيهِ فَلَدَكِ الْنَفْسُ لَمْ تَغِبْ
أَوْ قُلْتُ : مَا غَيْبٌ . قَالَ الطَّرْفُ : ذَا كَذِبٌ

فَقَدْ تَحَيَّرْتُ بَيْنَ الصِّدْقِ وَالْكَذِبِ

وقال الآخر :

أَحِنُّ إِلَيْهِ ، وَهُوَ فِي الْقَلْبِ سَاكِنٌ قَيَّا عَجَبًا لِمَنْ يَحِنُّ لِقَلْبِهِ

ومن غلظ طبعه وكشف فهمه عن فهم مثل هذا لم يكثر عليه أن يفهم من ألفاظ الكتب أن ذات الله سبحانه تحل في الصورة البشرية وتتحد بها وتمتزج بها - تعالى الله عما يقول الكافرون علواً كبيراً .

فصل : وإن قلم : أوجبنا له الإلهية من قول إشعياء : « من أعجب الأعاجيب أن رب الملائكة سيولد من البشر » ، قيل لكم : هذا مع أنه يحتاج إلى صحة هذا الكلام عن إشعياء وأنه لم يحرف بالنقل من ترجمة إلى ترجمة وأنه كلام منقطع عما قبله وبعده بيينة ، فهو دليل على أنه مخلوق مصنوع ، وأنه ابن البشر مولود منه ؛ لا من الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد !

وإن قلم : جعلناه إلهاً من قول متى في إنجيله : « إن ابن الإنسان يرسل ملائكته ويجمعون مختاريه من أقصاء السموات إلى أقصائها ويجتمع أمامه جميع الشعوب فيميز بعضهم من بعض »^(١) .. قيل : هذا كالذي قبله سواء ، ولم يرد أن المسيح هو رب الأرباب ولا أنه خالق الملائكة ، وحاشا لله أن يطلق عليه أنه رب الملائكة بل هذا من أقبح الكذب والافتراء ؛ بل رب الملائكة أوصى الملائكة بحفظ المسيح وتأييده ونصره بشهادة لوقا النبي القائل عندهم : « إن الله يوصي ملائكته بك ليحفظوك »^(٢) ، ثم شهادة لوقا : « إن الله أرسل له ملكاً من السماء ليقويه »^(٣) ، هذا الذي نطق به الكتب ، فحرف الكذابون على الله وعلى مسيحه ذلك ، ونسبوا إلى الأنبياء أنهم قالوا : هو رب الملائكة . وإذا شهد الإنجيل واتفق الأنبياء والرسل أن الله يوصي ملائكته بالمسيح ليحفظوه علم أن الملائكة والمسيح عبيد الله منفذون لأمره ، وليسوا أرباباً لا آلهة .

وقال المسيح لتلاميذه : « من قبلكم فقد قبلني ، ومن قبلني فقد قبل من أرسلني »^(٤) . وقال المسيح لتلاميذه أيضاً : « من أنكرني قدام الناس أنكرته أنا قدام أبي الذي في السموات »^(٥) .

وقال للذي ضرب عبد رئيس الكهنة : « اغمد سيفك ، أو لا تظن أني أستطيع أن أدعو الله الآب فيقيم لي أكثر من اثني عشر جيشاً من الملائكة ؟ »^(٦) . فهل يقول هذا من هو رب الملائكة وإلههم وخالقهم ؟

(١) متى [٢٤ : ٣٠ - ٣٢ ، ٣٩ ، ٣٢] وليس المراد بابن الإنسان المسيح ، بل المراد محمد ﷺ .

(٢) لوقا [٤ : ١٠] والزماير [٩١ : ١١] .

(٣) لوقا [٢٢ : ٤٣] . (٥) متى [١٠ : ٣٣] وعبارة المخطوطة « قدام ملائكة الله » .

(٤) متى [١٠ : ٤٠] . (٦) متى [٢٦ : ٥١ - ٥٣] .

وإن أوجبتم له الإلهية بما نقلتموه عن إشعياء : « تخرج عصا من جذع يسى ، وينبت غصن من أصوله ، ويحمل فيه روح الرب ، روح الحكمة والفهم ، روح المشورة والقوة ، روح العلم وخوف الله »^(١).. قيل لكم : هذا الكلام بعد المطالبة بصحة نقله عن إشعياء وصحة الترجمة له باللسان العربى وأنه لم يحرفه المترجم هو حجة على المثلثة عباد الصليب لا لهم ؛ فإنه لا يدل على أن المسيح خالق السموات والأرض ؛ بل يدل على مثل ما دل عليه القرآن ، وأن المسيح أيد بروح الرب ؛ فإنه قال : « يحمل فيه روح الرب روح الحكمة والفهم ، روح المشورة والقوة ، روح العلم وخوف الله » . ولم يقل : تحمل فيه حياة الله فضلاً عن أن يحمل الله فيه ويتحد به ويتخذ حجاباً من ناسوته .

هذه روح تكون مع الأنبياء والصديقين ، وعندهم في التوراة : أن الذين كانوا يعملون في قبة الزمان حلت فيهم « روح الحكمة » ، وروح الفهم والعلم هى ما يحصل به الهدى والنصر والتأييد ، وقوله : « روح الله » لا يدل على أنها صفة فضلاً عن أن يكون هو الله ، وجبريل يسمى روح الله ، والمسيح اسمه روح الله .

« والمضاف » إذا كان ذاتاً قائمة بنفسها فهو إضافة مملوك إلى مالك كبيت الله وناقة الله وروح الله ؛ ليس المراد به بيت يسكنه ، ولا ناقة يركبها ، ولا روح قائمة به ، وقد قال تعالى : ﴿ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ ﴾ [المجادلة : ٢٢] ، وقال تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا ﴾ [الشورى : ٥٢] ، فهذه الروح أيد بها عباده المؤمنين . وقد أخبر أنه أيد بروح العلم وخوف الله ، فجمع بين العلم والخشية وهما الأصلان اللذان جمع القرآن بينهما في قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ [فاطر : ٢٨] ، وفي قول النبى ﷺ : « أنا أعلمكم بالله وأشدكم له خشية »^(٢) وهذا شأن العبد المحض . وأما الإله الحق ورب العالمين فلا يلحقه خوف ولا خشية ولا يعبد غيره ، والمسيح كان قائماً بأوراد العبادات لله أتم القيام .

وإن أوجبتم له الإلهية بقول إشعياء : « إن غلاماً يولد لنا ، وإننا أعطينا ولدأ ، ورياسته على عاتقيه وبين منكبيه ، ويدعى اسمه ملكاً عظيماً عجيباً إلهاً قوياً مسلطاً رئيساً ، قوى السلامة في كل الدهور وسلطانه كامل ليس له فناء »^(٣) .

قيل لكم : ليس في هذه البشارة ما يدل على أن المراد بها المسيح بوجه من الوجوه ، ولو كان المراد بها المسيح لم يدل على مطلوبهم .

(١) إشعياء [١١ : ١ ، ٢] .

(٢) صحيح . البخارى في الأدب . باب من لم يواجه الناس بالعتاب [٥٢٩/١٠] وفي الاعتصام . باب ما يكره من التعق والتنازع .. [٢٩٠/١٣] ومسلم في الفضائل باب علمه ﷺ بالله تعالى وشدة خشيته [١٢٧ ، ١٢٨] .

(٣) إشعياء [٩ : ٦ ، ٧] .

إن دلالتها على محمد بن عبد الله أظهر من دلالتها على المسيح ، فإنه هو الذى رياسته على عاتقيه وبين منكبيه من جهتين ؛ من جهة أن خاتم النبوة علا نغض كتفيه^(١) ، وهو من أعلام النبوة التى أخبرت به الأنبياء ، وعلامة ختم ديوانهم ، ولذلك كان فى ظهره . ومن جهة أنه بعث بالسيف الذى يتقلد به على عاتقه ويرفعه إذا ضرب به على عاتقه ، ويدل عليه قوله : « مسلطاً رئيساً قوى السلامة » ، وهذه صفة محمد ﷺ المؤيد المنصور رئيس السلامة ، فإن دينه الإسلام ، ومن اتبعه سلم من خزي الدنيا ومن عذاب الآخرة ومن استيلاء عدوه عليه ، والمسيح لم يسلط على أعدائه كما سلط محمد ﷺ ، بل كان أعداؤه مسلطين عليه قاهرين له حتى عملوا به ما عملوا عند المثلثة عباد الصليب .

فأين مطابقة هذه الصفات للمسيح بوجه من الوجوه ؟ وهى مطابقة لمحمد بن عبد الله ﷺ من كل وجه وهو الذى سلطانه كامل ليس له فناء إلى آخر الدهور .
فإن قيل : إنكم لا تدعون محمداً الهاً بل هو عندكم عبد محض ؟ قيل : نعم . والله إنه لكذلك . عبد محض لله ، والعبودية من أجل مراتبه ، واسم « الإله » من جهة التراجم جاء ، والمراد به السيد المطاع لا الإله المعبود الخالق الرازق .

وإن أوجبتم له الإلهية من قول إشعيا فيما زعمتم : « ها هى العذراء تحبل وتلد ابناً يدعى اسمه عمانوئيل »^(٢) ، ومانويل كلمة عبرانية تفسرها بالعربية « إلهنا معنا » فقد شهد له النبى أنه إله .

قيل لكم : بعد ثبوت هذا الكلام وتفسيره لا يدل على أن العذراء ولدت رب العالمين وخالق السموات والأرضين ؛ فإنه قال : تلد ابناً وهذا دليل على أنه ابن من جملة البنين ليس هو رب العالمين . وقوله : « ويدعى اسمه عمانوئيل » فإنما يدل على أنه يسمى بهذا الاسم كما يسمى الناس أبناءهم بأنواع من الصفات والأسماء والأفعال والجمل المركبة من اسمين أو اسم وفعل ، وكثير من أهل الكتاب يسمون أولادهم عمانويل .

ومن علمائكم من يقول : « المراد بالعذراء ههنا غير مريم » ، ويذكر فى ذلك قصة ، ويدل على هذا أن المسيح لا يعرف اسمه « عمانوئيل » وإن كان ذلك اسمه فكونه يسمى إلهنا معنا أو بالله حسبى أو الله وحده ونحو ذلك^(٣) .

(١) التُّغْضُ : أعلى مُنْقَطِعِ غُضُوفِ الْكَتِفِ .

(٢) إشعيا [٧ : ١٤] وتفسيره بالله معنا ورد فى متى ونصه : « هوذا العذراء تحبل وتلد ابناً ويدعون اسمه عِمَّا نُوئِيل الذى تفسره الله معنا » [١ : ٢٣] .

(٣) يناقش العلامة رحمة الله هذه القصيدة فى كتابة إظهار الحق ، فيذكر ثلاث حجج تنفى ما ذهب إليه النصارى ، يقول : « أقول : هو غلط بوجوه : الأول : أن اللفظ الذى ترجمه الإنجيل ومترجم سفر إشعيا بالعذراء هو علمة مؤنث علم والهاء فيه للتأنيث ، ومعناه عند علماء اليهود « المرأة الشابة » سواء أكانت عذراء أو غير عذراء .. وفسر هذا اللفظ فى كلام إشعيا بالامرأة الشابة فى التراجم اليونانية الثلاثة : أعنى ترجمة ايكوثلا

وقد حَرَفَ بعض المثلثة عباد الصليب هذه الكلمة وقال : معناها « الله معنا » ، ورد عليهم بعض من أنصف من علمائهم وحكم رشده على هواه وهذاه الله للحق وبصره من عماه وقال : (أهذا هو القائل : «أنا الرب ، ولا إله غيري ، وأنا أحى وأميت وأخلق وأرزق؟»^(١) ، أم هو القائل لله : « إنك أنت الإله الحق وحدك الذى أرسلت يسوع المسيح »^(٢) قال : « والأول باطل قطعاً ، والثانى هو الذى شهد به الإنجيل ، ويجب تصديق الإنجيل وتكذيب من زعم أن المسيح إله معبود » . قال : « وليس المسيح مخصوصاً بهذا الاسم فإن - عمانوئيل - اسم تسمى به النصارى واليهود أولادهما » . قال : « وهذا موجود فى عصرنا هذا ، ومعنى هذه التسمية بينهم شريف القدر » . قال : « وكذلك السريان يسمون أولادهم (عمانوئيل) والمسلمون وغيرهم يقولون للرجل : الله معك .. فإذا سُمى الرجل بقول الله معك كان هذا تبركاً بمعنى هذا الاسم » (اهـ .

فصل : وإن أوجبتم له الإلهية بقول حيقوق فيما حكيتموه عنه : « إن الله فى الأرض يتراءى ويختلط مع الناس ويمشى معهم »^(٣) ، ويقول باروخ أيضاً بعد هذا : « الله يظهر فى الأرض ويتقلب مع البشر »^(٤) .

قيل لكم : هذا بعد احتياجه إلى ثبوت نبوة هذين الشخصين أولاً^(٥) وإلى ثبوت هذا

وترجمة تبيدوشن وترجمة سميكس . وهذه التراجم عندهم قديمة .. وكانت معتبرة عند قدماء المسيحيين سيما ترجمة تبيدوشن فعلى تفسير علماء اليهود والتراجم الثلاثة فساد كلام متى ظاهر ..

الثانى : ما سُمى أحد عيسى عليه السلام بعمانوئيل لا أبوه ولا أمه ، بل صمياه يسوع .. ولم يدع عيسى عليه السلام فى حين من الأحيان أيضاً أن اسمه عمانوئيل .

الثالث : القصة التى وقع فيها هذا القول تأتى أن يكون مصداق هذا القول عيسى عليه السلام ، لأنه ولد بعد سبعمائة وإحدى وعشرين سنة من خرابها . وقد اختلف أهل الكتاب فى مصداق هذا الخبر ، فاختار البعض أن إشعيا عليه السلام يريد بالمرأة زوجته ويقول إنها ستحيل وتلد ابناً وتصير أرض الملكين اللذين تخاف منهما خربة قيل أن يميز هذا الابن الخير عن الشر كما صرح «الدكتور بلسن» أقول : هذا هو المحرى بالقبول وقريب من القياس .

[إظهار الحق ١/١٩٨ ، ١٩٩ ، وفيما يختص بالقصة انظر إشعيا . الإصحاح السابع .

(١) ثنية [٣٢ : ٣٩] .

(٢) يوحنا [١٧ : ٣] .

(٣) سفر حيقوق [٣ : ٣ ، ٥ ، ٦ ، ١٣] .

(٤) فى المخطوطة «ويقول إرميا أيضاً بعد هذا» والنص ليس موجوداً فيه ، لكن فى سفر باروخ [٣ : ٣٨] .

(٥) فيما يختص بنبوتهما فإن السامريين ينكرون أى نبوة بعد موسى عليه السلام وباقي فرق اليهود تعترف بنبوتهما ، أما سقراهما فإن السامريين والصدوقيين يرفضونهما إلى جانب رفض البروتستانت من النصارى كذلك ويحكي لنا الشيخ رحمت الله قصة اعتراف النصارى بسفر باروخ فيقول : «انعقد بعد ذلك مجلس آخر فى سنة ٣٩٧ م ، ويسمى هذا المجلس مجلس «كارتيج» وكان من أهل هذا المجلس الفاضل المشهور عندهم «اكستان» و ١٢٦ شخصاً غيره من العلماء المشهورين ، وأهل هذا المجلس أبقوا حكم المجلسين الأولين على حالهما ، وزادوا على حكمهما هذه الأسفار .. (وكان من ضمنها سفر باروخ) . لكن هذا المجلس جعلوا سفر باروخ بمنزلة جزء من سفر إرميا لأن باروخ عليه السلام كان بمنزلة النائب والخليفة لإرميا

النقل عنهما ، وإلى مطابقة الترجمة من غير تحريف - وهذه « ثلاث مقامات » يعز عليكم إثباتها - لا يدل على أن المسيح هو خالق السموات والأرض ، وأنه إله حق ليس بمخلوق ولا مصنوع ، ففي التوراة ما هو من هذا الجنس وأبلغ ولم يدل ذلك على أن موسى إله ولا أنه خارج عن جملة العبيد .

وقوله : « يتراءى » مثل « تجلى أو ظهر أو استعلن » ونحو ذلك من ألفاظ التوراة وغيرها من الكتب الإلهية ، وقد ذكر في التوراة « أن الله تجلى وتراءى لإبراهيم وغيره من الأنبياء » ولم يدل ذلك على الإلهية لأحد منه ، ولم يزل في عرف الناس ومخاطبتهم أن يقولوا : فلان معنا وهو بين أظهرنا ولم يمِت . إذا كان عمله وسيرته بينهم ووصاياه يعمل بها بينهم ، وكذلك يقول القائل لمن مات والده : ما مات من خلف مثلك ، وأنا والدك . وإذا رأوا تلميذاً لعالم تعلم علمه قالوا : هذا فلان باسم أستاذه ، كما كان يقال عن عكرمة : « هذا ابن عباس » وعن أبي حامد : « هذا الشافعي » .

وإذا بعث الملك نائباً يقوم مقامه في بلد يقول الناس : « جاء الملك » ، و « حكم الملك » ، و « رسم الملك » .

وفي الحديث الصحيح الإلهي : « يقول الله عز وجل يوم القيامة : عبدى مرضت فلم تعدنى ، فيقول : يارب كيف أعودك وأنت رب العالمين ؟ قال : أما إن عبدى فلاناً مرض فلم تعده ، أما لو عدته لوجدتني عنده ، عبدى جعت فلم تطعمنى ، فيقول : رب كيف أطعمك وأنت رب العالمين ؟ قال : أما علمت أن عبدى فلاناً استطعمك فلم تطعمه ، أما لو أطعمته لوجدت ذلك عندى . عبدى استسقيتك فلم تسقنى ، فيقول : رب كيف أسقيك وأنت رب العالمين ؟ فيقول : أما إن عبدى فلاناً عطش فاستسقاك فلم تسقه ، أما لو سقيته لوجدت ذلك عندى »^(١) ، وأبلغ من هذا قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ [الفتح : ١٠] ، ومن هذا قوله تعالى : ﴿ مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾ [النساء : ٨٠] ، فلو استحل المسلمون ما استحللتم لكان استدلالهم بذلك على أن محمداً إله من جنس استدلالكم لا فرق بينهما !

وإن أوجبتم له الإلهية بقوله في السفر الثالث من أسفار الملوك : « والآن يارب إله إسرائيل يتحقق كلامك لداود لأنه هل يسكن الله مع الناس على الأرض ؟ .. اسمعوا أيتها الشعوب كلكم ، ولتنصت الأرض وكل من فيها ، فيكون الرب عليهم شاهداً ، ويخرج من موضعه ،

== السلام ، فإذا . ما كتبوا اسم سفر باروخ على حدة في فهرست أسماء الأسفار ، ثم انعقد بعد ذلك ثلاث مجالس كتبوا اسم

سفر : خ - فهرست أسماء الأسفار على حدة . [إظهار الحق ١/١٠١ ، ١٠٢] .

(١) صحيح مسلم البر واصله . باب فضل عيادة المريض [٤٣] .

وينزل ، ويطأ على مشارق الأرض في شأن خطيئة بنى يعقوب^(١) .. قيل لكم : هذا السفر يحتاج أولاً إلى أن يثبت أن الذى تكلم به نبي^(٢) ، وأن هذا لفظه ، وأن الترجمة مطابقة له وليس ذلك بمعلوم . وبعد ذلك فالقول في هذا الكلام كالقول في نظائره مما ذكرتموه وما لم تذكروه ، وليس في هذا الكلام ما يدل على أن المسيح خالق السموات والأرض ، وأنه إله حق غير مصنوع ولا مخلوق ، وأنه سكن في الأرض ، فإن قوله : « هل يسكن الله مع الناس على الأرض ؟ » هو نفى للسكنى

جميع الرسل متفقون على التوحيد

وجميع النبوات من أولها إلى آخرها متفقة على أصول :
أحدها : أن الله سبحانه وتعالى قديم واحد لا شريك له في ملكه ولا ند ولا ضد ولا وزير ولا مشير ولا ظهير ولا شافع إلا من بعد إذنه .
الثاني : أنه لا والد له ولا ولد ولا كفؤ ولا نسب بوجه من الوجوه ولا زوجة .
الثالث : أنه غنى بذاته فلا يأكل ولا يشرب ولا يحتاج إلى شيء مما يحتاج إليه خلقه بوجه من الوجوه .

الرابع : أنه لا يتغير ولا تعرض له الآفات من الهرم والمرض والسينة والنوم والنسيان والندم والخوف والهم والحزن ونحو ذلك .

الخامس : أنه لا يماثل شيئاً من مخلوقاته بل ليس كمثلته شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله .

السادس : أنه لا يحل في شيء من مخلوقاته ولا يحل في ذاته شيء منها بل هو بائن عن خلقه بذاته والخلق بائون عنه .

السابع : أنه أعظم من كل شيء وأكبر من كل شيء وفوق كل شيء وعال على كل شيء وليس فوقه شيء البتة .

الثامن : أنه قادر على كل شيء فلا يعجزه شيء يريد به بل هو الفعال لما يريد .

التاسع : أنه عالم بكل شيء يعلم السر وأخفى ويعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف كان يكون ﴿ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا ، وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ ﴾ [الأنعام : ٥٩] ، لا متحرك إلا وهو يعلمه على حقيقته .

(١) الملوك الأول (٨ : ٢٣ - ٣٤) .

(٢) هذا السفر كتبه عزرا وهو ليس بنبي ، فهو الذى حرف وغير وبدل في التوراة وادعى أنها توراة موسى [انظر إظهار الحق لرحمت الله ١٠٦/١ ، ١٠٧] .

العاشر : أنه سميع بصير يسمع ضجيج الأصوات باختلاف اللغات على تفنن الحاجات ، ويرى دبيب التملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء ، فقد أحاط سمعه بجميع السموعات ، وبصره بجميع المبصرات ، وعلمه بجميع المعلومات ، وقدرته بجميع المقدورات ، ونفذت مشيئته في جميع البريات ، وعمت رحمته جميع المخلوقات ، ووسع كرسیه الأرض والسموات .

الحادى عشر : أنه الشاهد الذى لا يغيب ولا يستخلف أحداً على تدبير ملكه ولا يحتاج إلى من يرفع إليه حوائج عباده أو يعاونه عليها أو يستعطفه عليهم ويسترحمه لهم .

الثانى عشر : أنه الأبدى الباقي الذى لا يضمحل ولا يتلاشى ولا يعدم ولا يموت .
الثالث عشر : أنه المتكلم الأمر الناهى قاتل الحق وهادى السبيل ومرسل الرسل ومنزل الكتب والقائم على كل نفس بما كسبت من الخير والشر ، ومجازى المحسن بإحسانه ، والمسيء بإساءته .

الرابع عشر : أنه الصادق فى وعده وخبره ، فلا أصدق منه قيلاً ، ولا أصدق منه حديثاً ، وهو لا يخلف الميعاد .

الخامس عشر : أنه تعالى صمد بجميع الصمدية ، فيستحيل عليه ما يناقض صمديته .

السادس عشر : أنه قدوس سلام ، فهو المبرأ من كل عيب وآفة ونقص .

السابع عشر : أنه الكامل الذى له الكمال المطلق من جميع الوجوه .

الثامن عشر : أنه العدل الذى لا يجور ولا يظلم ولا يخاف عباده منه ظملاً .

فهذا مما اتفقت عليه جميع الكتب والرسل ، وهو من المحكم الذى لا يجوز أن تأتى شريعة بخلافه ولا يخبر نبي بخلافه أصلاً ، فترك المثلثة عباد الصليب هذا كله ، وتمسكوا بالمتشابهة من المعانى والمجمل من الألفاظ ، وأقوال من ضلوا من قبل ، وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل . وأصول المثلثة ومقاتلهم فى رب العالمين تخالف هذا كله أشد المخالفة وتباينه أعظم الميانة .

فصل

نبوة محمد ﷺ تأكيد نبوة سائر الأنبياء

لو لم يظهر محمد بن عبد الله ﷺ لبطلت نبوة سائر الأنبياء ، فظهر نبوته تصديق لنبواتهم وشهادة لها بالصدق ، فإرساله من آيات الأنبياء قبله ، وقد أشار سبحانه إلى هذا المعنى بعينه فى قوله : ﴿ جَاء بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [الصافات : ٣٧] ، فإن المرسلين بشرُوا به وأخبروا بمجيئه ؛ فمجيئه هو نفس صدق خبرهم ، فكان مجيئه تصديقاً لهم إذ هو تأويل

ما أخبروا به ، ولا تنافى بين هذا وبين القول الآخر ، إن تصديقه المرسلين شهادته بصدقهم وإيمانه بهم فإنه صدقهم بقوله وبجيشه فشهد بصدقهم بنفس مجيئه ، وشهد بصدقهم بقوله ، ومثل هذا قول المسيح : ﴿ مُصَدِّقًا لِمَا نَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ ، وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ﴾ [الصف : ٦] ، فإن التوراة لما بشرت به وبنبوته كان نفس ظهوره تصديقاً لها ، ثم بشر برسول يأتي من بعده فكان ظهور الرسول المبشر به تصديقاً له ، كما كان ظهوره تصديقاً للتوراة فعادة الله في رسله أن السابق يبشر باللاحق ، واللاحق يصدق السابق ، فلو لم يظهر محمد بن عبد الله ولم يبعث لبطلت نبوة الأنبياء قبله ، والله سبحانه لا يخلف وعده ولا يكذب خبره ، وقد كان بشر إبراهيم وهاجر بشارات بينات ولم نرها تُمَّتْ ولا ظهرت إلا بظهور رسول الله ﷺ ، فقد بشرت هاجر من ذلك بما لم تبشر به امرأة من العالمين غير مريم ابنة عمران بالمسيح على أن مريم بشرت به مرة واحدة ، وبشرت هاجر بإسماعيل مرتين ، وبشر به إبراهيم مراراً ، ثم ذكر الله سبحانه هاجر بعد وفاتها كالمخاطب لها على ألسنة الأنبياء ، ففي التوراة أن الله تعالى قال لإبراهيم : « قد أجبت دعائك في إسماعيل ، وباركت عليه ، وكبرته ، وعظمته »^(١) ، هكذا في ترجمة بعض المترجمين . وأما في الترجمة التي ترجمها اثنان وسبعون حبراً من أحرار اليهود فإنه يقول : « وسيلد اثني عشر أمة من الأمم » ، وفيها لما هربت هاجر من سارة تراءى لها ملاك الله ، وقال : « يا هاجر أمة سارة من أين أقبلت ؟ وإلى تذهبين ؟ قالت : هربت من سيدتي ، فقال لها الملاك : ارجعي إلى سيدتك واخضعي لها ، فإنني سأكثر ذريتك وزرعك حتى لا يحصون كثرة ، ها أنت تحلين وتلدن ابناً تسميه إسماعيل ؛ لأن الله قد سمع خشوعك ، وهو يكون عين الناس ، ويكون يده فوق الجميع ، ويد الجميع مبسوطة إليه بالخضوع ، ويكون مسكنه على نخوم جميع إخوته »^(٢) ، وفي موضع آخر قصة إسكانها وابنها إسماعيل في بركة فاران ، وفيها : « فقال لها الملاك : يا هاجر ليهداً روعك . فقد سمع الله تعالى صوت الصبي ، قومي فاحمله وتمسكي به فإن الله جاعله لأمة عظيمة ، وأن الله فتح عينها فإذا بيثر ماء فذهبت وملأت المزادة منه وسقت الصبي منه وكان الله معها ومع الصبي حتى ترى ، وكان مسكنه في بركة فاران »^(٣) فهذه أربع بشارات خالصة بإسماعيل^(٤) ؛ نزلت اثنتان منها على إبراهيم ، واثنتان

(١) التكوين [١٧ : ٢٠] ونصه : « وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه . ها أنا أباركه وأثمره وأكثره كثيراً جداً . اثني عشر رئيساً يلد وأجعله أمة كبيرة » .

(٢) التكوين [١٦ : ٨ - ١٢] .

(٣) التكوين [٢١ : ١٧ - ٢١] .

(٤) ثلاث بشارات فقط لأن ما نزل على إبراهيم نص واحد ، وبالتالي فهو بشارة واحدة لا بشارتان ، وعلى هذا فاجمع ثلاث بشارات .

على هاجر . وفي التوراة أيضاً بشارات أخرى بإسماعيل وولده وأنهم أمة عظيمة جداً^(١) ، وأن نجوم السماء تحصى ولا يحصون ، وهذه البشارة إنما تمت بظهور محمد بن عبد الله وأمه . فإن « بنى إسحاق » كانوا لم يزالوا مطردوين مشردين خولاً^(٢) للفراعة والقبط حتى أنقذهم الله بنبيه موسى بن عمران ، وأورثهم أرض الشام فكانت كرسى مملكتهم ثم سلبهم ذلك ، وقطعهم في الأرض أما مسلوبا عزهم . وملكتهم ، قد أخذتهم سيوف السودان ، وعلتهم أعلاج^(٣) الحمران حتى إذا ظهر النبي ﷺ تمت تلك النبوات وظهرت تلك البشارات بعد دهر طويل وعلت بنو إسماعيل على من حولهم فهشموهم هشماً ، وطحنوهم طحناً ، وانتشروا في آفاق الدنيا ، ومدت الأُمم أيديهم إليهم بالذل والخضوع ، وعلوهم علو الثريا فيما بين الهند والحبشة والسوس الأقصى وبلاد الترك والصقالبة والخزر^(٤) ، وملكوا ما بين الخافقين وحيث ملتقى أمواج البحرين .

وظهر ذكر إبراهيم على ألسنة الأُمم ، فليس صبي من بعد ظهور النبي ﷺ ولا امرأة ولا حر ولا عبد ولا ذكر ولا أنثى إلا وهو يعرف إبراهيم وآل إبراهيم .

وأما « النصرانية » وإن كانت قد ظهرت في أُمم كثيرة جلييلة ، فإنه لم يكن لهم في محل إسماعيل وأمه هاجر سلطان ظاهر ولا عز قاهر البتة ، ولا صارت أيدي هذه الأمة فوق أيدي الجميع ولا امتدت إليهم أيدي الأُمم بالخضوع ، وكذلك سائر ما تقدم من البشارات التي تفيد بمجموعها العلم القطعي بأن المراد بها محمد بن عبد الله ﷺ وأمه .

فإنه لو لم يقع تأويلها بظهوره ﷺ لبطلت تلك النبوات ، ولهذا لما علم الكفار من أهل الكتاب أنه لا يمكن الإيمان بالأنبياء المتقدمين إلا بالإيمان بالنبي الذي بشروا به قالوا : نحن في انتظاره ولم يجيء بعد . ولما علم بعض الغلاة في كفره وتكذيبه منهم أن هذا النبي في ولد إسماعيل أنكروا أن يكون لإبراهيم ولد اسمه إسماعيل ، وأن هذا لم يخلقه الله .

ولا يكثر على أمة البهت وإخوان القروذ وقتلة الأنبياء مثل ذلك ، كما لم يكثر على المثلثة عباد الصليب الذين سبوا رب العالمين أعظم مسبة أن يطعنوا في ديننا وينتقصوا نبينا ﷺ .

ونحن نبين أنهم لا يمكنهم أن يثبتوا للمسيح فضيلة ولا نبوة ولا آية ولا معجزة إلا بإقرارهم أن محمداً رسول الله ، وإلا فمع تكذيبه لا يمكن أن يثبت للمسيح شيء من ذلك ألبتة .

(١) وردت بشارة في التوراة وهي واضحة وضوح الشمس بألفاظها ومعانيها ، ففي سفر التكوين [٢١ : ١٢ ، ١٣] ورد ما نصه : « لأنه بإسحاق يُدعى لك نسل وابن الجارية سأجعله أمة لأنه نسلك » وصحة الترجمة « سأجعله أمة لأن نسلك هو » كما ورد في حاشية الكاثوليك . [محمد نبي الإسلام للطهطاوى ص ٤] وفي سفر التثنية [١٨ : ١٥ ، ١٨] ما نصه : « يقيم لك الرب إلهك نبيا من وسطك من إخوانك مثل . له تسمعون .. أقيم لهم نبيا من وسط إخوانهم مثلك وأجعل كلامي في فمهم فيكلمهم بكل ما أوصيه به » .

(٢) الخول : عطية الله من النعم والعبيد والإماء وغيرهم من الأنبياء والحشم .

(٣) العلج : كل جاف شديد من الرجال .

(٤) الخزر : هم البلغار أو الروس .

فنقول : إذا كفرتم معاشر المثلثة عباد الصليب بالقرآن وبمحمد ﷺ ، فمن أين لكم أن تثبتوا لعيسى فضيلة أو معجزة ؟ ومن نقل إليكم عنه آية أو معجزة ؟ فإنكم إنما تبعتم من بعده بنيف على مائتين وعشرات من السنين أخرتم عن منام رؤى فأسرعتم إلى تصديقه ^(١) ، وكان الأولى لمن كفر بالقرآن أن ينكر وجود عيسى في العالم لأنه لا يقبل قول اليهود فيه ، ولا سيما وهم أعظم أعدائه الذين رموه وأمه بالعظام ، فأخبار المسيح والصليب إنما شيوحكم فيها اليهود ، وهم فيما بينهم مختلفون في أمره أعظم اختلاف ، وأنتم مختلفون معهم في أمره . فاليهود تزعم أنهم حين أخذه الرومان حبسوه في السجن أربعين يوماً ، فقالوا لهم : ما كان لكم أن تحبسوه أكثر من ثلاثة أيام ثم تقتلوه إلا أنه كان يعضده أحد قواد الروم ، لأنه كان يداخله في صناعة الطب عندهم . وفي الأناجيل التي بأيديكم « أنه أخذ صبح يوم الجمعة وصلب في الساعة التاسعة من اليوم بعينه » ^(٢) فمتى تتوافقون مع اليهود في خبره ، واليهود مجمعون أنه لم يظهر له معجزة ولا بدت منه لهم آية غير أنه طار يوماً وقد هموا بأخذه فطار على أثره آخر منهم فعلاه في طيرانه فسقط إلى الأرض بزعمهم .

وفي الإنجيل الذي بأيديكم في غير موضع ما يشهد أنه لا معجزة له ولا آية . فمن ذلك أن فيه منصوباً « أن اليهود قالوا له يوماً : ماذا تفعل حتى نعمل أعمال الله تعالى ؟ فقال : أمر الله أن تؤمنوا بمن بعثه ، فقالوا له : وما آيتك التي ترينا لنؤمن بك وأنت تعلم أن آبائنا قد أكلوا المن بالمفاوز ؟ قال : إن كان أطعمكم موسى خبزاً فأنا أطعمكم خبزاً سماوياً » ^(٣) يريد نعيم الآخرة فلو عرفوا له معجزة ما قالوا ذلك .

وفي الإنجيل الذي بأيديكم أن اليهود قالت له : « ما آيتك التي نصدقك بها ؟ » قال : « اهدموا البيت أبيه لكم في ثلاثة أيام » ^(٤) ، فلو كانت اليهود تعرف له آية لم تقل هذا ، ولو كان قد أظهر لهم معجزة لذكرهم بها حيثئذ .

وفي الإنجيل الذي بأيديكم أيضاً : « أنهم جاؤوا يسألونه آية فخذفهم ، وقال : « جيل فاسق وشرير يطلب آية فلا تعطى له » » ^(٥) .

وفيه أيضاً أنهم كانوا يقولون له وهو على الخشبة بظنكم : « إن كنت المسيح فأنزل نفسك فنؤمن بك » يطلبون بذلك آية فلم يفعل ^(٦) .

(١) يشير المؤلف إلى المنام الذي رآه الملك قسطنطين . وسيدكره المؤلف بعد قليل عند شرحه للمجامع النصرانية .

(٢) متى [٢٧ : ٤٥ ، ٤٦] .

(٣) يوحنا [٦ : ٢٩ - ٣٣] .

(٤) يوحنا [٢ : ١٨ - ١٩] .

(٥) متى [١٦ : ١ - ١٢ ، ٣٨ ، ٣٩] . لوقا [١١ : ٢٩] ونصه : « جيل شرير فاسق ينتمس آية . ولا تعطى له آية .. ثم تركهم ومضى » .

(٦) مرقس [١٥ : ٣٠] متى [٢٧ : ٤١] لوقا [٢٣ : ٣٥] .

فإذا كفرتم معاشر المثلثة عباد الصليب بالقرآن لم يتحقق لعيسى ابن مريم آية ولا فضيلة ؛ فإن أخباركم عنه وأخبار اليهود لا يلتفت إليها لاختلافكم في شأنه أشد الاختلاف وعدم تيقنكم لجميع أمره .

وكذلك اجتمعت اليهود على أنه لم يدع شيئاً من الإلهية التي نسبتم إليه أنه ادّعاها ، وكان أقصى مرادهم أن يدعى فيكون أبلغ في تسلطهم عليه ؛ وقد ذكر السبب في استفاضة ذلك عنه وهو أن أخبارهم وعلماءهم لما مضى وبقي ذكره خافوا أن تصير عامتهم إليه إذ كان على سنن تقبله قلوب الذين لا غرض لهم ، فشنعوا عليه أموراً كثيرة ، ونسبوا إليه دعوى الإلهية ترهيداً للناس في أمره .

❦ أخبارهم عن عيسى ونسبه غير موثوق بها ❦

ثم إن اليهود عندهم من الاختلاف في أمره ما يدل على عدم تيقنهم بشيء من أخباره . فمنهم من يقول : إنه كان رجلاً منهم ويعرفون أباه وأمه^(١) ، وينسبونه لزانية^(٢) ! وحاشاه وحاشا أمه الصديقة الطاهرة البتول التي لم يقرعها فحل قط قاتلهم الله أنى يؤفكون ، ويسمون أباه الزاني باندارا الرومى ، وأمه مريم الماشطة ، ويزعمون أن زوجها يوسف من سبط يهوذا^(٣) وجد باندارا عندها على فراشها وشعر بذلك فهجرها وأنكر ابنها^(٤) . ومن اليهود من رغب عن هذا القول وقال : إنما أبوه يوسف من سبط يهوذا الذى كان

(١) يقول يوحنا : « إن فيليب وجد ثنائيل وقال له : وجدنا الذى كتب عنه موسى في الناموس والأنبياء يسوع بن يوسف الذى من الناصرة » [يوحنا ١ : ٤٥] وفي مرقس « أليس هذا هو النجار ابن مريم وأخو يعقوب ويوسى ويهوذا وسمعان . أوليست أخواته ههنا عندنا » [مرقس ٦ : ٣] وفي متى « أليس هذا ابن النجار . أليست أمه تدعى مريم وإخوته يعقوب ويوسى وسمعان ويهوذا . أوليست أخواته جميعهن عندنا » [متى ١٣ : ٥٥ : ٥٦] .

(٢) جاء في يوحنا ما نصه : « فقالوا له (اليهود) : إنما لم نولد من زنا لنا أب واحد ، وهو الله » [يوحنا ٨ : ٤١] وانظر المسيح إنسان أم إله . الفصل الأول [ص ٢١ - ٣٠] .

(٣) يعلى الأستاذ محمد مجدى مرجان ربط اليهود بين عيسى ويوسف النجار بأن بنى إسرائيل كانوا أمة مذلولة الكرامة تستصرخ ربها يهوه أن يرسل إليها مسيحاً يخلصها من عبودية الرومان ويعيد إليها مجد داود وذهب سليمان وكانت أكثر النبوءات شيوعاً عن المخلص الذى سيرسله الله لتحرير إسرائيل أنه سيكون من سلالة داود ، ملك العصر الذهبى لليهود ، من أجل هذا قرر كتاب الأنجيل أن عيسى من سلالة داود .. ولو كان عيسى ينتسب إلى داود من جهة أمه مريم لكان أمراً من الممكن قبوله ، ولكن الدهشة تغلو وجوهنا عندما نراهم يربطون بين عيسى وداود عن طريق يوسف النجار [متى ١ : ١ - ١٧] ، لوقا ١ : ٢٧ ، ٣٢ ، ٣٣ .. إن الربط بين عيسى ويوسف وداود برابطة القرابة وإن كان قد خدم القول بأن عيسى هو المسيح المنتظر إلا أنه هدم معجزة ميلاد عيسى الفريد ، وهذا ما دعا الكثيرين إلى إغفال ذكر حادث الميلاد لما أحاط به من شبهات وافتراءات . بل إن الكثيرين من تلاميذ عيسى اللصيقين به لا يعرفونه إلا بأنه ابن يوسف » [انظر المسيح إنسان أم إله . الفصل الأول [ص ٣٠ - ٣٥] .

(٤) انظر العقيدة اليهودية وخطرها على الإنسانية [ص ١٨٦ ، ١٨٧] .

زوجاً لمريم ، ويذكرون أن السبب في استفاضة اسم الزنا عليه : أنه بينما هو يوماً مع معلمه يهشوع بن برخيا وسائر التلاميذ في سَفَر فتزلوا موضعاً فجاءت امرأة من أهله وجعلت تبالغ في كرامتهم ، فقال يهشوع ما أحسن هذه المرأة ؟ يريد أفعالها ، فقال عيسى - بزعمهم - : لولا عور في عينها ، فصاح يهشوع وقال له : ياممزار - ترجمته : يازنيم - أترنى بالنظر ؟ وغضب منه غضباً شديداً ولما عاد إلى بيت المقدس حرم اسمه ولعنه في أربعمئة قرن ، فحيثُذ لحق ببعض قواد الروم وداخله بصناعة الطب ففقوى بذلك على اليهود وهم يومئذ في ذمة قيصر طياريوس ، وجعل يخالف حكم التوراة ويستدرك عليها ويعرض عن بعضها إلى أن كان من أمره ما كان .

وطوائف من اليهود يقولون غير هذا ، ويقولون : إنه كان يلعب الصبيان بالكرة فوَقعت منهم بين جماعة من مشايخ اليهود فضعف الصبيان عن استخراجها من بينهم حياء من المشايخ ، ففقوى عيسى وتخطى رقابهم وأخذها ، فقالوا له : ما نظنك إلا زنياً . ومن اختلاف اليهود في أمره أنهم يسمون أباه بزعمهم الذي كان خطب مريم يوسف الذى من سبط يهوذا النجار . وبعضهم يقول : إنما هو يوسف الحداد^(١) .

والنصارى تزعم أنها كانت ذات بعل وأن زوجها يوسف بن يعقوب ، وبعضهم يقول : يوسف بن هالى . وهم يختلفون أيضاً في آبائه وعددهم إلى إبراهيم فمن مُقِل ومن مُكثِر^(٢) . فهذا ما عند اليهود وهم شيوخكم في نقل الصلب وأمره . وإلا فمن المعلوم أنه لم يحضره أحد من النصارى . وإنما حضره اليهود وقالوا : قتلناه وصلبناه وهم الذين قالوا فيه ما حكيناه عنهم فإن صدقتموهم في الصلب فصدقوهم في سائر ما ذكروه ، وإن كذبتموهم فيما نقلوه عنه فما الموجب لتصديقهم في الصلب وتكذيب أصدق الصادقين الذى قامت البراهين القطعية على صدقه أنهم ما قتلوه وما صلبوه ؛ بل صانه الله وحماه وحفظه ، وكان أكرم على الله وأوجه عنده من أن يبتليه بما تقولون أنتم واليهود ؟

(١) بل أكثر من ذلك يقول التلمود : إن المسيح كان مجنوناً ، وهذا مطابق لما كان يعامله به هيرودس ومعاصروه الذين وصفوه بأنه ساحر .. ووصف التلمود المسيح أيضاً بأنه كافر لا يعرف الله ، فيكون المسيحيون كفره مثله . وجاء في التلمود أن المسيحيين من عبدة الأصنام ، ويسمهم أيضاً اليهود المرتدون .. وجاء أيضاً في التلمود الجديد أن تعاليم يسوع كفر ، وتلميذه يعقوب كافر ، والأنجيل كتب الكفار ، وقال الحاخام «اباربانيل» : المسيحيون كفار لأنهم يعتقدون أن الله لحم ودم .. [انظر من التلمود . ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ص ٧٤ ، ٧٥] .

(٢) يقول الحواري متى عن نسب عيسى : «كتاب ميلاد يسوع المسيح بن داود بن إبراهيم .. [متى ١ : ١ - ١٧] فقد نسب متى يوسف إلى يعقوب ، أما لوقا فقد نسبته إلى هالى يقول : «ولما ابتدأ يسوع كان له نحو ثلاثين سنة وهو على ما كان يُظنُّ ابن يوسف بن هالى .. [لوقا ٣ : ٢٣]» . ولاحظ في سياق عبارته كلمة «على ما كان يُظنُّ» انظر إظهار الحق لرحمت الله حيث بين الأغلاط في هذا السبب [١٩٥/١ - ١٩٧] . وانظر كذلك الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام .. للإمام القرطبي [٢٥٣/٢ ، ٢٥٤] .

وأما خبر ما عندكم أنتم فلا نعلم أمة أشد اختلافاً في معبودها ونبيها ودينها منكم ، فلو سألت الرجل وامرأته وابنته وأمه وأباه عن دينهم لأجابت كل منهم بغير جواب الآخر ، ولو اجتمع عشرة منهم يتذكرون الدين لتفرقوا عن أحد عشر مذهباً . مع اتفاق فرقهم المشهورة اليوم على القول بالتثليث وعبادة الصليب ، وأن المسيح ابن مريم ليس بعبد صالح ولا نبي ولا رسول ، وأنه إله في الحقيقة ، وأنه هو خالق السموات والأرض والملائكة والنبين ، وأنه هو الذى أرسل الرسل وأظهر على أيديهم المعجزات والآيات ، وأن للعالم إلهاً هو آب والد لم يزل ، وأن ابنه نزل من السماء وتجسم من روح القدس ومن مريم وصار هو وابنها الناسوتى إلهاً واحداً ومسيحاً واحداً وخالقاً واحداً ورازقاً واحداً ، وحبلت به مريم وولده ، وأخذ وصلب وألم ومات ودفن ، وقام بعد ثلاثة أيام وصعد إلى السماء وجلس عن يمين أبيه . قالوا : والذى ولدته مريم وعايته الناس وكان بينهم هو الله وهو ابن الله وهو كلمة الله ، فالقديم الأزلى خالق السموات والأرض هو الذى حبلت به مريم وأقام هناك تسعة أشهر ، وهو الذى ولد ورضع وفطم وأكل وشرب وتغوط وأخذ وصلب وشد بالحبال وسمرت يده .

فرقهم اختلفت في شخصية المسيح

ثم اختلفوا ، فقالت «اليعقوبية» - أتباع يعقوب البرادعى ولقب بذلك لأنه لبسه كان من خرق برادع الدواب يرقع بعضها ببعض ويلبسها - : إن المسيح طبيعة واحدة من طبيعتين : إحداهما : طبيعة الناسوت ؛ والأخرى : طبيعة اللاهوت ، وأن هاتين الطبيعتين تركبتا فصار إنساناً واحداً وجوهرأ واحداً وشخصاً واحداً ، فهذه الطبيعة الواحدة والشخص الواحد هو المسيح ، وهو إله كله ، وإنسان كله ، وهو شخص واحد ، وطبيعة واحدة من طبيعتين . وقالوا : إن مريم ولدت الله ، وإن الله سبحانه قبض وصلب وسمر ومات ودفن ثم عاش بعد ذلك^(١) .

فصل : وقالت «الملكية»^(٢) - وهى الروم نسبة إلى دين الملك - لا إلى رجل يدعى ملكانياً هو صاحب مقالهم كما يقوله بعض من لا علم له بذلك : إن الابن الأزلى الذى هو الكلمة تجسدت من مريم تجسداً كاملاً كسائر أجساد الناس ، وركبت فى ذلك الجسد نفساً كاملة بالعقل والمعرفة والعلم كسائر أنفس الناس ، وأنه صار إنساناً بالجسد والنفس اللذين هما من جوهر الناس ، وإلهاً بجوهر اللاهوت كمثل أبيه لم يزل ، وهو إنسان بجوهر الناس

(١) انظر النصيحة الإيمانية لنعري بن يحيى المتطبب . الفصل الأول [ص ٥٨ ، ٥٩] .

(٢) فرقة نصرانية . يقال لهم أيضاً : الملكانية أو الذين على دين ملك الرومان وأغلب الروم ملكانية . وقد كان لهذه الفرقة دور أساسى فى عقد المجمع الأول من مجامع النصارى والذى وضع فيه قانون «الأمانة» الذى يسمون عليه إلى اليوم . [محاضرات فى النصرانية ص ١٤٦ وما بعدها ، الفصل لابين حزم ٤٨/١ ، والملل والنحل للشهرستانى بهامش الفصل ٥١/٢ ، ٥٢] .

مثل إبراهيم وموسى وداود ، وهو شخص واحد لم يزد عدده ، وثبت له جوهر اللاهوت كما لم يزل ، وصح له جوهر الناسوت الذى لبسه من مريم ، وهو شخص واحد لم يزد عدده وطبيعتان ، ولكل واحدة من الطبيعتين مشيئة كاملة ، فله بلاهوته مشيئة مثل الآب ، وله بناسوته مشيئة إبراهيم وداود .

وقالوا : إن مريم ولدت « المسيح » وهو اسم يجمع اللاهوت والناسوت .
وقالوا : إن الذى مات هو الذى ولدته مريم ، وهو الذى وقع عليه الصلب والتسمير والصنع والربط بالحبال واللاهوت لم يمت ولم يألم ولم يدفن .

قالوا : وهو إله تام بجوهر لاهوته ، وإنسان تام بجوهر ناسوته ، وله المشيئتان : مشيئة اللاهوت ، ومشيئة الناسوت .. فأتوا بمثل ما أتى به اليعقوبية من أن مريم ولدت الإله إلا أنهم بزعمهم نزهوا الإله عن الموت ، وإذا تدبرت قولهم وجدته في الحقيقة هو قول اليعقوبية مع تنازعهم وتناقضهم فيه ، فاليعقوبية أطرد لكفرهم لفظاً ومعنى^(١) .

وأما « السطورية » فذهبوا إلى القول بأن المسيح شخصان وطبيعتان لهما مشيئة واحدة ، وأن طبيعة اللاهوت لما وجدت بالناسوت صار لهما إرادة واحدة ، واللاهوت لا يقبل زيادة ولا نقصاناً ولا يمتزج بشيء ، والناسوت يقبل الزيادة والنقصان ، فكان المسيح بذلك إلهاً وإنساناً ، فهو الإله بجوهر اللاهوت الذى لا يقبل الزيادة والنقصان ، وهو إنسان بجوهر الناسوت الذى يقبل الزيادة والنقصان .

وقالوا : إن مريم ولدت المسيح بناسوته وإن اللاهوت لم يفارقه قط^(٢) .
وكل هذه الفرق استنكفت أن يكون المسيح عبد الله وهو لم يستنكف من ذلك ، ورغبت به عن عبودية الله وهو لم يرغب عنها بل أعلى منازل العبودية عبودية الله ، ومحمد وإبراهيم خمر منه ، وأعلى منازلها تكميل مراتب العبودية ، فالله رضيه أن يكون له عبداً فلم ترض المثلثة بذلك .

وقالت « الآريوسية »^(٣) منهم وهم أتباع آريوس : إن المسيح عبد الله كسائر الأنبياء والرسل ، وهو مريبوب مخلوق مصنوع ، وكان التجاشى على هذا المذهب .
وإذا ظفرت المثلثة بواحد من هؤلاء قتلته شر قتلة ، وفعلوا به ما يفعل بمن سب المسيح

(١) انظر النصيحة الإيمانية [ص ٦٠ - ٦٢] .

(٢) انظر النصيحة الإيمانية [٥٩ ، ٦٠] .

(٣) فرقة الآريوسيين وهم أتباع آريوس المشهور بالموحد الذى كان قيسياً في كنيسة الإسكندرية في بداية القرن الرابع الميلادى وكان اعتقاده بأن المسيح مجرد بشر مخلوق وليس إلهاً أو ابناً لله ، وأتباع آريوس جميعاً أهل توحيد .. وتشيع لآريوس كثيرون في الإسكندرية وفلسطين ومقدونية والقسطنطينية . وفي سنة ٣٢٥ م حكم مجمع نيقية بطرد آريوس وكفره وأصدر قراره بالوهية المسيح فبدأت هذه الفرق في الانقراض حتى انتهت . [انظر محمد نبي الإسلام ص ٧٣ ، الفصل لابن حزم ٤٧/١] ، والخريدة النفيسة ٢٨٦/١ وما بعدها] .

وشتمه أعظم سب .

والكل من تلك الفرق الثلاث عوامهم لا تفهم مقالة خواصهم على حقيقتها ؛ بل يقولون : إن الله تخطى مريم كما تخطى الرجل المرأة وأحبها فولدت له ابناً ، ولا يعرفون تلك الهذيان التي وضعها خواصهم ، فهم يقولون : الذي تدندنون حوله نحن نعتقد به غير حاجة منا إلى معرفة الأقسام الثلاثة من الطيبتين والمشيئتين ، وذلك للتحويل والتطويل ، وهم يصرحون بأن مريم والدة الإله ، والله أبوه ، وهو الابن . فهذا الزوج ، والزوجة ، والولد ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ۚ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ۚ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ۚ أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ۚ وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ۚ إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا ۚ لَقَدْ أَخَصَّكُمْ عِزًّا ۚ وَكُلَّهُمْ آيَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ قُرْآنًا ﴾ [مريم : ٨٨ - ٩٥] .

نينا يكشف الغمة ويرى المسيح وأمه

فهذا أقوال أعداء المسيح من اليهود والغالين فيه من النصارى المثلثة عباد الصليب فبعث الله محمداً ﷺ بما أزال الشبهة في أمره وكشف الغمة ، وبرأ المسيح وأمه من افتراء اليهود وبيتهم وكذبهم عليهما ونزه رب العالمين وخالق المسيح وأمه مما افتراه عليه المثلثة عباد الصليب الذين سبوه أعظم السب .

فأنزل المسيح أخاه بالمنزلة التي أنزله الله بها ، وهى أشرف منازلها ، فآمن به وصدقه ، وشهد له بأنه عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول الطاهرة الصديقة سيدة نساء العالمين في زمانها ، وقرر معجزات المسيح وآياته ، وأخبر عن ربه تعالى بتخليد من كفر بالمسيح في النار وأن ربه تعالى أكرم عبده ورسوله ونزله وصانه أن ينال إخوان القردة منه ما زعمته النصارى أنهم نالوه منه ؛ بل رفعه إليه مؤيداً منصوراً لم يشكه أعداؤه بشوكة ، ولا نالته أيديهم بأذى ، فرفعه إليه وأسكنه سماءه ، وسيعيده إلى الأرض ينتقم به من مسيح الضلال وأتباعه ، ثم يكسر به الصليب ، ويقتل به الخنزير ، ويعلى به الإسلام ، وينصر به ملة أخيه وأولى الناس به محمد عليهما أفضل الصلاة والسلام .

فاذا وضع هذا القول في المسيح في كفة وقول عباد الصليب المثلثة في كفة تبين لكل من له أدنى مسكة من عقل ما بينهما من التفاوت ، وأن تفاوتهما كتفاوت ما بينه وبين قول المغضوب عليهم فيه ، وبالله التوفيق .

فلولا محمد ﷺ لما عرفنا أن المسيح ابن مريم الذي هو رسول الله وعبده وكلمته وروحه موجود أصلاً ؛ فإن هذا المسيح الذي أثبتته اليهود من شرار خلق الله ليس بمسيح الهدى .

والمسيح الذى أثبتته النصارى من أبطل الباطل لا يمكن وجوده فى عقل ولا فطرة .
ويستحيل أن يدخل فى الوجود أعظم استحالة ، ولو صح وجوده لبطلت أدلة العقول ولم
يبق لأحد ثقة بمعقول أصلاً ؛ فإن استحالة وجوده فوق استحالة جميع المحالات ، ولو صح
ما يقولون لبطل العالم واضمحلت السموات والأرض وعمدت الملائكة والعرش والكرسى
ولم يكن بعث ولا نشور ولا جنة ولا نار .

ولا يستعجب من إطباق أمة الضلال الذين شهد الله أنهم أضل من الأنعام على ذلك فكل
باطل فى الوجود ينسب إلى أمة من الأمم فإنها مطبقة عليه ، وقد تقدم ذكر إطباق الأمم العظيمة
التى لا يحصيها إلا الله على الكفر والضلال بعد معاناة الآيات البيات ، فلعباد الصليب أسوة
بإخوانهم من أهل الشرك والضلال .

مجامع النصارى

فصل : فى ذكر استنادهم فى دينهم إلى أصحاب ه المجامع ^(١) الذين كفر بعضهم بعضاً
ولعن بعضهم بعضاً ، وتلقيهم أصول دينهم عنهم ، ونحن نذكر الأمر كيف ابتدأ ، وتوسط ،
وانتهى ، حتى كأنك تراه عياناً ...

كان الله سبحانه قد بشر بالمسيح على ألسنة أنبيائه ^(٢) ، من لدن موسى إلى زمن داود ومن
بعده من الأنبياء ، وأكثر الأنبياء تبشيراً به داود ، وكانت اليهود تنتظره وتصدق به قبل مبعثه ،
فلما بعث كفروا به بغياً وحسداً وشروداً فى البلاد وطردوه وحبسوه وهما يقتله مراراً إلى
أن أجمعوا على القبض عليه وعلى قتله ، فصانه الله وأنقذه من أيديهم ، ولم يهنه بأيديهم ،
وشبه لهم بأنهم صلبوه ولم يصلبوه ، كما قال تعالى : ﴿ وَكَفَرُوا بِهِمْ وَقَوْلِيهِمْ عَلَىٰ مَرْثَمٍ مُّهْتَابًا
عَظِيمًا ۝ وَقَوْلِيهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ ، وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ
شُبِّهَ لَهُمْ ، وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ
يَقِينًا ۝ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [النساء : ١٥٦ - ١٥٨] ، وقد
اختلف فى معنى قوله : ﴿ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ ﴾ فقيل المعنى : ولكن شبه للذين صلبوه بأن
ألقي شبهه على غيره فصلبوا الشبه ، وقيل المعنى : ولكن شبه للنصارى أى حصلت لهم الشبهة
فى أمره وليس لهم علم بأنه ما قتل وما صلب ؛ ولكن لما قال أعداؤه : إنهم قتلوه وصلبوه

(١) المجمع : موضع الاجتماع .

(٢) ليس كما فهمه المؤلف - المسيح المنتظر كما بشر به الأنبياء هو عيسى ابن مريم عليه السلام . لكن كل البشارات التى وردت
تنطبق على محمد ﷺ وقد تطورت فكرة المسيح المنتظر . وهى فكرة سحها اليهود من مسح الكهنة والمنوك والأنبياء بالزيت
المقدس - خاصة فى الضيقات والملمات - إلى فكرة المسح الذى يرسه يهوه لتحرير شعبه المقدس وإحضاع باقى الأمم
والشعوب هم . [لوقا : ١ : ٣٢] لكن ما لبثت أحلام اليهود أن خضعت عن صحرة عيسى العسة فبدلوا بديرون لقتله وصلبه .
[انظر المسيح إنسان أم إله . الفصل الأول] .

واتفق رفعه من الأرض وقعت الشبهة في أمره ، وصدقهم النصارى في صلبه لتم الشناعة عليهم ، وكيف ما كان فالمسيح صلوات الله وسلامه عليه لم يقتل ولم يصلب يقيناً لاشك فيه . ثم تفرق الحواريون في البلاد بعد رفعه ، على دينه ومنهاجه يدعون الأمم إلى توحيد الله ودينه والإيمان بعبده ورسوله ومسيحه ، فدخل كثير من الناس في دينه ما بين ظاهر مشهور ومختف مستور ، وأعداء الله اليهود في غاية الشدة والأذى لأصحابه وأتباعه ، ولقى تلاميذ المسيح وأتباعه من اليهود ومن الروم شدة شديدة من قتل وعذاب وتشريد وحبس وغير ذلك ، وكان اليهود في زمن المسيح في ذمة الروم وكانوا ملوكاً عليهم ، وكتب نائب الملك بيت المقدس إلى الملك يعلمه بأمر المسيح وتلاميذه وما يفعل من العجائب الكثيرة من إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى ، فهم أن يؤمن به ويتبع دينه فلم يتابعه أصحابه ، ثم هلك وولى بعده ملك آخر فكان شديداً على تلامذة المسيح .

ثم مات وولى بعده آخر ، وفي زمنه كتب « مرقس » إنجيله بالعبرانية ، وفي زمانه صار إلى الإسكندرية فدعا إلى الإيمان بالمسيح ، وهو أول شخص جعل بتركاً على الإسكندرية ، وصير معه اثني عشر قسيساً على عدة نقباء^(١) بنى إسرائيل في زمن موسى وأمرهم إذا مات البترك أن يختاروا من الاثني عشر واحداً يجعلونه مكانه ، ويضع الاثني عشر أيديهم على رأسه ويبركونه ، ثم يختارون رجلاً فاضلاً قسيساً يصيرونه تمام العدة . ولم يزل أمر القوم كذلك إلى زمن قسطنطين . ثم انقطع هذا الرسم واصطلحوا على أن ينصبوا البترك من أى بلد كان من أولئك القسيسين أو من غيرهم ، ثم سموه « بابا » ومعناه أبو الآباء .

وخرج « مرقس » إلى « بُرقة » يدعو الناس إلى دين المسيح ، ثم ملك آخر فأهاج على أتباع المسيح الشر والبلاء وأخذهم بأنواع العذاب ، وفي عصره كتب « بطرس » رئيس الحوارين إنجيل مرقس عنه بالرومية ، ونسبه إلى مرقس . وفي عصره كتب « لوقا » إنجيله بالرومية لرجل شريف من عظماء الروم ، وكتب له الابركسيس الذي فيه أخبار التلاميذ . وفي زمنه صلب « بطرس » ، وزعموا أن بطرس قال له : إن أردت أن تصلبني فاصلبني منكساً لئلا أكون مثل سيدى المسيح فإنه صلب قائماً ، وضرب عنق بولس بالسيف^(٢) ، وأقام بعد صعود المسيح اثنين وعشرين سنة ، وأقام « مرقس » بالإسكندرية وبرقة سبع سنين يدعو الناس إلى الإيمان بالمسيح ، ثم قتل بالإسكندرية وأحرق جسده بالنار^(٣) .

(١) النقيب : كبير القوم المعنى بشؤونهم .

(٢) انظر الخريدة النفيسة [٣٥/١ - ٤٢] .

(٣) انظر الخريدة النفيسة في تاريخ الكنيسة [٥٨/١ - ٦٤] .

ثم استمرت القياصرة ملوك الروم على هذه السيرة إلى أن ملك مصر قيصر يسمى « طيطس » فحرب بيت المقدس بعد المسيح بسبعين سنة بعد أن حاصرها وأصاب أهلها جوع عظيم ، وقتل من كان بها من ذكر وأنثى حتى كانوا يشقون بطون الحبال ويضربون بأطفاهن الصخور ، وحرب المدينة وأضرمت فيها النار ، وأحصى القتلى على يده فبلغوا ثلاثة آلاف ألف

ثم ملك ملوك آخرون فكان منهم واحد شديد على اليهود جداً ، فبلغوه أن النصارى يقولون : إن المسيح ملكهم وأن ملكه يدوم إلى آخر الدهر فاشتد غضبه وأمر بقتل النصارى وأن لا يبقى في ملكه نصراني ، وكان « يوحنا » صاحب الإنجيل هناك فهرب ، ثم أمر الملك بإكرامهم وترك الاعتراض عليهم .

ثم ملك بعده آخر فأثار على النصارى بلاء عظيماً ، وقتل بترك أنطاكية برومية ، وقتل أسقف بيت المقدس وصلبه وله يومئذ مائة وعشرون سنة ، وأمر باستبعاد النصارى فاشتد عليهم البلاء إلى أن رحمتهم الروم وقال له وزراؤه : إن لهم ديناً وشرعة وإنه لا يحل استبعادهم فكف عنهم ، وفي عصره كتب يوحنا إنجيله بالرومية^(١) ، وفي ذلك العصر رجع اليهود إلى بيت المقدس ، فلما كثروا وامتلاّت منهم المدينة عزموا على أن يملكوا منهم ملكاً فبلغ الخبر قيصر فوجه إليهم جيشاً فقتل منهم من لا يحصى ، ثم ملك بعده آخر وأخذ الناس بعبادة الأصنام ، وقتل من النصارى خلقاً كثيراً ، ثم ملك بعده ابنه وفي زمانه قتل اليهود ببيت المقدس قتلاً ذريعاً وحرب بيت المقدس ، وهرب اليهود إلى مصر وإلى الشام والجال والأغوار وتقطعوا في الأرض ، وأمر الملك أن لا يسكن بالمدينة يهودى ، وأن يقتل اليهود ويستأصلوا ، وأن يسكن المدينة اليونانيون .

وامتلاّ بيت المقدس من اليونانيين ، والنصارى ذمة تحت أيديهم ، فأوهم يأتون إلى مزبلة هناك فيصلون فيها فمنعهم من ذلك ، وبنوا على المزبلة هيكلًا باسم « الزهرة » فلم يمكن النصارى بعد ذلك قربان ذلك الموضع ، ثم هلك هذا الملك وقام بعده آخر فنصب يهوذا أسقفاً على بيت المقدس ، قال ابن البطريق : « فمن يعقوب أسقف بيت المقدس الأول إلى يهوذا أسقفه هذا كانت الأساقفة الذين على بيت المقدس كلهم محتونين ، ثم ولى بعده آخر وأثار على النصارى بلاء شديداً وحرباً طويلاً ووقع في أيامه قحط شديد كاد الناس أن يهلكوا فسألوا النصارى أن يتهلوا إلى إلههم فدعوا وأتتهلوا إلى الله فمطروا وارتفع عنهم القحط والوباء » . قال ابن البطريق : « وفي زمانه كتب بترك الإسكندرية إلى أسقف بيت المقدس وبترك أنطاكية وبترك رومية في كتاب فصح النصارى وصومهم وكيف يستخرج

(١) انظر اخريدة النفيسة [٤٦/١ - ٥٠] .

من فصيح اليهود ، فوضعوا فيها كتباً على ما هي اليوم » ، قال : « وذلك أن النصارى كانوا بعد صعود المسيح إذا عيدوا عيد الغطاس من الغد ، يصومون أربعين يوماً ويفطرون كما فعل المسيح ، لأنه لما اعتمد بالأردن خرج إلى البرية فأقام بها أربعين يوماً ، وكان النصارى إذا أفصح اليهود عيّدوا هم الفصح ، فوضع هؤلاء البتاركة حساباً للفصح ليكون فطرهم يوم الفصح ، وكان المسيح يُعيّد مع اليهود في عيدهم » .

واستمر على ذلك أصحابه إلى أن ابتدعوا تغيير الصوم فلم يصوموا عقيب الغطاس بل نقلوا الصوم إلى وقت لا يكون عيدهم مع اليهود .

ثم مات ذلك الملك وقام بعده آخر ، وفي زمنه كان « جالينوس » وفي زمنه ظهرت الفرس وغلبت على بابل وآمد وفارس . وتملك أزدشير بن بابك في اصطخر وهو أول ملك ملك على فارس في المدة الثانية ، ثم مات قيصر وقام بعده آخر ، ثم آخر وكان شديداً على النصارى عذبهم عذاباً عظيماً وقتل خلقاً كثيراً منهم ، وقتل كل عالم فيهم ، ثم قتل من كان بمصر والإسكندرية من النصارى ، وهدم الكنائس ، وبنى بالإسكندرية هيكلًا وسماه هيكل « الآلهة » ثم قام بعده قيصر آخر ، ثم آخر وكانت النصارى في زمنه في هدوء وسلامة ، وكانت أمه تحب النصارى .

ثم قام بعده آخر فأثار على النصارى بلاءً عظيماً وقتل منهم خلقاً كثيراً ، وأخذ الناس بعبادة الأصنام ، وقتل من الأساقفة خلقاً كثيراً ، وقتل بترك أنطاكية فلما سمع بترك بيت المقدس بقتله هرب وترك الكرسي ثم هلك ، وقام بعده آخر ، ثم آخر .

وفي أيام هذا ظهر « ماني » الكذاب وزعم أنه نبي ، وكان كثير الحيل والخاريق ، فأخذه بهرام ملك الفرس فشقه نصفين ، وأخذ من أتباعه مائتي رجل ففرس رؤوسهم في الطين منكسين حتى ماتوا .

ثم قام من بعده « فيلبس » فأمن بالمسيح فوثب عليه بعض قواده فقتله ، ثم قام بعده « دانقيوس » ويسمى « دقيانوس » فلقي النصارى منه بلاءً عظيماً وقتل منهم ما لا يحصى ، وقتل بترك رومية ، وبنى هيكلًا عظيماً وجعل فيه الأصنام ، وأمر أن يسجد لها ويذبح لها ومن لم يفعل قتل ، فقتل خلقاً كثيراً من النصارى وصلبوا على الهيكل ، وأخذ من أولاد عظماء المدينة سبعة غلمان فجعلهم خاصته وقدمهم على جميع من عنده ، وكانوا لا يسجدون للأصنام فأعلم الملك بخبرهم فحبسهم ثم أطلقهم ، وخرج إلى مخرج له فأخذ الفتية كل ما لهم فتصدقوا به ، ثم خرجوا إلى جبل فيه كهف كبير فاخفتوا فيه وصب الله عليهم النعاس فناموا كالأموات ، وأمر الملك أن يبنى عليهم باب الكهف ليوتوا^(١) ، فأخذ قائد من قواده صفيحة

(١) يقول ابن كثير في تفسيره : « وقد قيل : إن قومهم ظفروا بهم ووقفوا على باب الغار الذي دخلوه فقالوا : ما كنا نريد =

من نحاس فكتب فيها أسماءهم وقصتهم مع دقيانوس وصبرها في صندوق من نحاس ودفنه داخل الكهف وسده . ثم مات الملك^(١).

== بولس أول من ابتدع في شأن المسيح اللاهوت والناسوت ==

ثم قام بعده قيصر آخر . وفي زمنه جعل في أنطاكية بتركاً يسمى « بولس الشمشاطى »^(٢) وهو أول من ابتدع في شأن المسيح اللاهوت والناسوت وكانت النصرى قبله كلمتهم واحدة أنه عبدٌ رسول مخلوق مصنوع مربوب ، لا يختلف فيه اثنان منهم ، فقال بولس هذا - وهو أول من أفسد دين النصرى - : إن سيدنا المسيح خلق من اللاهوت إنساناً كواحد منا في جوهره ، وأن ابتداء الابن من مريم ، وأنه اصطفى ليكون مخلصاً للجوهر الإنسى صحبته النعمة الإلهية فحلت فيه بالمحبة والمشيئة ، ولذلك سمى ابن الله . وقال : إن الله جوهر واحد وأقنوم واحد .

قال سعيد بن البطريق : « وبعد موته اجتمع ثلاثة عشر أسقفاً في مدينة أنطاكية ونظروا في مقالة « بولس » فأوجبوا عليه اللعن فلعنوه ولعنوا من يقول بقوله وانصرفوا » .

ثم قام قيصر آخر فكانت النصرى في زمنه يصلون في المطامير^(٣) والبيوت قرعاً من الروم ، ولم يكن بترك الإسكندرية يظهر خوفاً أن يقتل ، فقام بارون بتركا فلم يزل يدارى الروم حتى بنى بالإسكندرية كنيسة ، ثم قام قياصرة آخر منهم اثنان تملكا على الروم إحدى وعشرين سنة فأثارا على النصرى بلاء عظيماً وعذاباً إليهما وشدة تجل عن الوصف من القتل والعذاب واستباحة الحرم والأموال وقتل ألوف مؤلفة من النصرى ، وعذبوا « هار

== منهم من العقوبة أكثر مما فعلوا بأنفسهم فأمر الملك بردم بابه عليهم ليهلكوا مكانهم ففعلوا ذلك . وفي هذا نظر والله أعلم . فإن الله تعالى قد أخبر أن الشمس تدخل عليهم في الكهف بكرة . وعشياً كما قال تعالى [٧٥/٣] .

(١) أصحاب الكهف الذين ذكر القرآن قصتهم مفصلة .. قال ابن كثير في تفسيره : « وقد ذكر أنهم كانوا على دين المسيح فآله أعلم . والظاهر أنهم كانوا قبل ملة النصرانية بالكلية فإنهم لو كانوا على دين النصرانية لما اعتنى أحبار اليهود بحفظ خبرهم وأمرهم لمباينتهم لهم .. فدل هذا على أن هذا أمر محفوظ في كتب أهل الكتاب وأنه مقدم على دين النصرانية والله أعلم » [٧٤/٣] وفي البداية والنهاية يؤكد ابن كثير كلامه فيقول : « قال كثير من المفسرين والمؤرخين وغيرهم أنهم كانوا في زمن ملك يقال له دقيانوس ... [١١٤/٢] وبأقوال ابن كثير وبأحداث التاريخ نصل إلى حقيقة تنقض ما ذكره ابن كثير في البداية من أنهم كانوا قبل ملة النصرانية ، فدقيانوس كان بعد ظهور المسيح بما لا يقل عن قرن من الزمان ، لكنه كان ملكاً وثنياً يضطهد المسيحيين .

(٢) جاء في كتاب الخريدة النفيسة أن من أهل البدع والأصاليب . من وجهة نظرهم - بولس السمساطى بطرك أنطاكية ذهب إلى أنه يوجد إله واحد تسميه الكتب المقدسة أباً ، وأن كلمته ليست أقنوماً بل إنها في العقل الإلهي بمقام الفهم في عقل البشر وأن المسيح إنسان محض ولد من مريم وفيه حلت الحكمة الإلهية حتى أصبح مقتدراً على صنع المعجائب ولما قدم على الصلب فارقه الحكمة .. [٢٢٩/١] .

(٣) المطامير : مكان تحت الأرض قد فُتِيء فيه الثُّر والفلول ونحوه وتأتى بمعنى السجن وممردها : المضطورة .

جرجس»^(١) أصناف العذاب ثم قتلوه ، وفي زمنهما ضربت عنق « بطرس » بترك الإسكندرية ، وكان له تلميذان ، وكان في زمنه « آريوس » يقول : « إن الآب وحده الله الفرد الصمد والابن مخلوق مصنوع وقد كان الآب إذ لم يكن الابن » ، فقال بطرس لتلميذه : « إن المسيح لعن آريوس فاحذرا أن تقبلا قوله ؛ فإن رأيت المسيح في النوم مشقوق الثوب ، فقلت : يا سيدى ! من شق ثوبك ؟ فقال لى : « آريوس » . فاحذرا أن تقبلوه أو يدخل معكم الكنيسة »^(٢) .

وبعد قتل بطرس بخمس سنين صير أحد تلميذه بتركاً على الإسكندرية . ثم ستة أشهر ومات ، ولما جرى على آريوس ما جرى أظهر أنه قد رجع عن مقالته فقبله . البتريك وأدخله الكنيسة وجعله قسيساً ، ثم قام قيصر آخر فجعل يتطلب النصارى . ثم حتى صب الله عليه النعمة فهلك شر هلكة .

ثم قام بعده قيصران : أحدهما : ملك الشام وأرض الروم وبعض الشرق ، والآخر : رومية وما جاورها ، وكانا كالسباع الضارية على النصارى فعلا بهم من القتل والسبي والجلاء ما لم يفعل بهم ملك قبلهما ، وملك معهما « قسطنطين » أبو قسطنطين ، وكان ديناً يبغيض الأصنام محباً للنصارى ، فخرج إلى ناحية الجزيرة والرها ، فنزل في قرية من قرى الرها فرأى امرأة جميلة يقال لها « هيلانة » وكانت قد تنصرت على يدى أسقف « الرها » وتعلمت قراءة الكتب فخطبها قسطنطين من أبيها فزوجه إياها ، فحبلت منه وولدت قسطنطين فترى بالرها ، وتعلم حكمة اليونان ، وكان جميل الوجه قليل الشر محباً للحكمة .

وكان « مكسنتيوس »^(٣) ملك الروم حينئذ رجلاً فاجراً شديد البأس مبغضاً للنصارى جداً ، كثير القتال فيهم ، محباً للنساء ، لم يترك للنصارى بنتاً جميلة إلا أفسدها وكذلك أصحابه ، وكان نصارى في جهد جهيد معه ، فبلغه خبر قسطنطين وأنه غلام هاد قليل الشر كثير العلم ، وأخبره المنجمون والكهنة أنه سيملك ملكاً عظيماً فهم بقتله فهرب قسطنطين من الرها ، ووصل إلى أبيه فسلم إليه الملك ، ثم مات . وصب الله على « مكسنتيوس » أنواعاً من البلاء حتى تعجب الناس مما ناله ورحمه أعداءه ما حل به ، فرجع إلى نفسه وقال : لعل هذا بسبب ظلم النصارى فكتب إلى جميع عماله أن يطلقوا النصارى من الحبوس ، وأن يكرمهم ويسألوهم أن يدعوا له في صلواتهم ، فوهب الله له العافية ورجع إلى أفضل ما كان عليه من الصحة والقوة .

(١) كلمة « مار » معناها : قديس . ومار جرجس هو القديس جاورجيوس . [السقا] .

(٢) انظر الخريدة النفيسة [٢٣٠/١] .

(٣) في المخطوطة عليانوس وفي تاريخ ابن البطريق الذى يعتمد عليه المؤلف نقلا عن الجواب الصحيح لابن تيمية « عليانوس » ويرى الدكتور السقا : أن الصحيح نقلا عن يوسابيوس القيصرى في كتابه « حياة قسطنطين العظيم » « مكسنتيوس » .

فلما صح وقوى رجوع إلى شر مما كان عليه ، وكتب إلى عماله أن يقتلوا النصارى ولا يدعوا في مملكته نصرانياً ولا يسكنوا له مدينة ولا قرية ، فكان القتل يحملون على العجل ويرمي بهم في البحر والصحارى . وأما « قيصر الآخر » الذي كان معه فكان شديداً على النصارى ، واستعبد من كان برومية من النصارى ، ونهب أموالهم ، وقتل رجالهم ونساءهم وصبيانهم .

== شارة الصليب ابتدعها قسطنطين ==

فلما سمع أهل رومية بقسطنطين وأنه مبغض للشر محب للخير وأن أركته معه في هدوء وسلامة كتب رؤسائهم إليه يسألونه أن يخلصهم من عبودية ملكهم . فرأى كثيرون غماً شديداً وبقي متحيراً لا يدرى كيف يصنع .

قال سعيد بن البطريق : « فظهر له على ما يزعم النصارى نصير في السماء صليباً » من كوكب مكتوباً حوله : « بهذا تغلب .. » فقال لأصحابه : « يتم ما رأيتم ؟ قالوا : نعم . فآمن حينئذ بالنصرانية^(١) فتجهز لخاربة قيصر المذكور ، وصنع صليباً كبيراً من ذهب وصيره على رأس البند^(٢) ، وخرج بأصحابه فأعطى النصر على قيصر فقتل من أصحابه مقتلة عظيمة وهرب الملك ومن بقي من أصحابه ، فخرج أهل رومية إلى قسطنطين بالإكليل الذهب وبكل أنواع اللهو واللعب فتلقوه وفرحوا به فرحاً عظيماً ، فلما دخل المدينة أكرم النصارى وردهم إلى بلادهم بعد النفي والتشريد ، وأقام أهل رومية سبعة أيام يُعبدون للملك وللصليب . فلما سمع « مكستتيوس » جمع جموعه وتجهز للقتال مع قسطنطين . فلما وقعت العين في العين انهزموا وأخذتهم السيوف . وأفلت « مكستتيوس » فلم يزل من قرية إلى قرية حتى وصل إلى بلده . فجمع السحرة والكهنة والعرافين الذين كان يحبهم ويقبل منهم فضرب أعناقهم لئلا يقعوا في يد قسطنطين ، وأمر ببناء الكنائس ، وأقام في كل بلد من بيت المال الخراج فيما تعمل به أبنية الكنائس ، وقام بدين النصرانية حتى ضرب بخرانه^(٣) في زمانه .

فلما تم له خمس عشر سنة من ملكه حَاجَّ النصارى في أمر المسيح واضطربوا ، فأمر بالجمع في مدينة « نيقية » وهي التي رتب فيها « الأمانة » بعد هذا الجمع — كما سيأتي — فأراد آريوس أن يدخل معهم فمنعه بترك الإسكندرية ، وقال إن بطرسا قال لهم : إن الله لعن آريوس فلا تقبلوه ولا تدخلوه الكنيسة ، وكان على مدينة « أسبوط » من عمل مصر أسقف يقول يقول آريوس فلعله أيضاً . وكان بالإسكندرية هيكل عظيم على اسم « زحل » وكان فيه صنم من

(١) انظر الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام (٢٤٥/٢ ، ٢٤٦) .

(٢) البند : العلم الكبير (فارسي معرب) .

(٣) الجُرَّان : باطن العنق من البعير وغيره . يقال : ضرب الإسلام بخرانه : ثبت واستقر .

نحاس يسمى (ميكائيل) ، وكان أهل مصر والإسكندرية في اثني عشر يوماً من شهر هاتور وهو تشرين الثاني يَعيّدون لذلك الصنم عيداً عظيماً ويذبحون له الذبائح الكثيرة . فلما ظهرت النصرانية بالإسكندرية أراد بتركها أن يكسر الصنم ويبطل الذبائح له ، فامتنع عليه أهلها ، فاحتال عليهم بحيلة ، وقال : لو جعلتم هذا العيد لميكائيل ملاك الله لكان أولى . فإن هذا الصنم لا ينفع ولا يضر فأجابوه إلى ذلك ، فكسر الصنم وجعل منه صليبا وسمى الهيكل « كنيسة ميكائيل » فلما منع بترك الإسكندرية آريوس من دخول الكنيسة ولعنه خرج آريوس : مستعديا عليه ومعه أسقفان فاستغاثوا إلى قسطنطين ، وقال آريوس : إنه تعدى على وأخرجني من الكنيسة ظلماً ، وسأل الملك أن يشخص^(١) بترك الإسكندرية يناظره قدام الملك ، فوجه قسطنطين برسول إلى الإسكندرية فأشخص البترك وجمع بينه وبين آريوس لينظره ، فقال قسطنطين لآريوس : اشرح «مقالتك» ! قال آريوس : «أقول إن الآب كان إذ لم يكن الابن ، ثم إنه أحدث الابن فكان كلمة له إلا أنه محدث مخلوق ، ثم فوض الأمر إلى ذلك الابن المسمى كلمة فكان هو خالق السموات والأرض وما بينهما ، كما قال في إنجيله إن يقول «وهب لي سلطاناً على السماء والأرض»^(٢) فكان هو الخالق لهما بما أعطى من ذلك ، ثم إن الكلمة تجسدت من مريم العذراء ومن روح القدس فصار ذلك مسيحاً واحداً ، فالمسيح الآن معنيان كلمة وجسد إلا أنهما جميعاً مخلوقان » .

فأجابه عند ذلك بترك الإسكندرية ، وقال : «تخبرنا الآن : أيما أوجب علينا عندك عبادة من خلقنا أو عبادة من لم يخلقنا ؟» قال آريوس : «بل عبادة من خلقنا» فقال له البترك : «فإن كان خالقنا الابن كما وصفت . وكان الابن مخلوقاً لعبادة الابن المخلوق أوجب من عبادة الآب الذي ليس بخالق : بل تصير عبادة الآب الذي خلق الابن كفراً وعبادة الابن المخلوق إيمانا ، وذلك من أقبح الأقاويل» ..

فاستحسن الملك وكل من حضر مقالة البترك . وشنع عندهم مقالة آريوس ، ودارت بينهما أيضاً مسائل كثيرة ، فأمر قسطنطين البترك أن يكفر آريوس وكل من قال بمقالته ، فقال له : بل يوجه الملك بشخص للبتاركة والأساقفة حتى يكون لنا مجمع ونصنع فيه قضية ويكفر آريوس . ويشرح الدين ويوضحه للناس .

فبعث قسطنطين الملك إلى جميع البلدان فجمع البتاركة والأساقفة فاجتمع في مدينة نيقية بعد سنة وشهرين . ألفان وثمانية وأربعون أسقفاً ، فكانوا مختلفي الآراء ، مختلفي الأديان .

(١) شخص من بلده ، وعنه : خرج ، وشخص إليه : رجع وأشخص فلان : حان سيرة . وأشخص فلان إليه : بعث به .

(٢) متى [٢٨ : ١٨] ونصه : «دفع إلى كل سلطان في السماء وعلى الأرض» .

فمنهم من يقول : المسيح ومريم إلهان من دون الله وهم « المريمانية »^(١)
ومنهم من يقول : المسيح من الآب بمنزلة شعلة نار تعلق من شعلة نار فلم ينقص من
الأولى لإيقاد الثانية منها .

ومنهم من كان يقول : لم تحبل مريم لتسعة أشهر وإنما مر نور في بطن مريم كما يمر الماء في
الميزاب^(٢) لأن كلمة الله دخلت من أذنها وخرجت من حيث يخرج الولد من ساعتها وهذه
مقالة الباريليدس وأشياعه^(٣) .

ومنهم من كان يقول : إن المسيح إنسان خلق من اللاهوت كواحد منا في جوهره ، وإن
ابتداء الابن من مريم ، وأنه اصطفى ليكون مخلصاً للجواهر الإنسانية صحبته النعمة الإلهية
فحلت منه بالحبة والمشيئة فلذلك سمى ابن الله ، ويقولون : إن الله جوهر واحد وأقنوم واحد
ويسمونه بثلاثة أسماء ولا يؤمنون بالكلمة ولا بالروح القدس وهذه « مقالة بولس وأشياعه » .
ومنهم من كان يقول : ثلاثة آلهة لم تزل صالح وطالح وعدل بينهما هذه « مقالة مرقيون
وأشياعه »^(٤) .

ومنهم من يقول : ربنا هو المسيح ، وهي مقالة « ثلاثمائة وثمانية عشر أسقفا » .
قال ابن البطريق : ولما سمع قسطنطين الملك مقالتهم عجب من ذلك وأحلى لهم داراً وتقدم
لهم بالإكرام والضيافة ، وأمرهم أن يتناظروا فيما بينهم لينظر من معه الحق فيتبعه ، فاتفق منهم
ثلاثمائة وثمانية عشر أسقفاً على دين واحد ورأى واحد .

ونظر بقية الأساقفة المختلفين ففلجوا^(٥) عليهم في المناظرة ، وكان باقى الأساقفة مختلفي
الآراء والأديان فصنع الملك للثلاثمائة والثمانية عشر أسقفاً مجلساً عظيماً وجلس في وسطه وأخذ
خاتمه وسيفه وقضيه فدفع ذلك إليهم ، وقال لهم : قد سلطتكم اليوم على المملكة فاصنعوا ما

(١) سماها ابن حزم في الفصل « البربرانية » وهم يقولون : إن عيسى وأبيه إلهان من دون الله عز وجل . وهذه الفرقة قد بادت
[٤٧/١ ، ٤٨] وسماها صاحب كتاب « محمد نبي الإسلام » .. فرقة الريدانية [ص ٧٦] .

(٢) الميزاب : أنبوبة من الحديد ونحوه تتركب في جانب البيت من أعلاه لينصرف منها ماء المطر المتجمع .

(٣) فرقة اليان — كما ورد في تاريخ ابن البطريق — كانت تذهب إلى القول بأن المسيح إله وأنه ابن الله وأنه مر في بطن أمه كما يمر
الماء في الميزاب لأن الكلمة الابن دخلت من أذنها وخرجت لتوها من حيث يخرج الولد .. وقد انقرضت هذه الفرقة بعد القرن
الثالث عشر الميلادي حيث كان أتباعها باليمن والشام وأرمينية [محمد نبي الإسلام ص ٧٦] .

(٤) طائفة تدعى بالمرقيونيين نسبة إلى زعيمها مرقيون أو مرسيون كان قسيساً من رجال القرن الثاني الميلادي حكم عليه بالطرد
والحرمان لاعتقاده بوجود إلهين أحدهما إله عادل كان قد اتخذ من بني إسرائيل شعباً مختاراً له وأنزل عليهم التوراة ، أما إله الخير
فهو إله آخر ظهر متمثلاً في المسيح وخلص الإنسان من الخطايا وأبطل أعمال الإله الأول وبناء على ذلك فإن هذا المذهب
لا يرى قدسية العهد القديم بل يرفضها جميعاً ، وهو يرفض كتب العهد الجديد أيضاً ولا يعتمد إلا على إنجيل خاص هو
إنجيل مرقيون . وقد انقرضت هذه الفرقة حوالي القرن العاشر الميلادي . [محمد نبي الإسلام ص ٧٥ ، ٧٦] .

(٥) فلج : ظفر . ويقال : فلج بحجته : أحسن الإدلاء بها فغلب خصمه .

بدا لكم وما ينبغي لكم أن تصنعوا ما فيه قوام الدين وصلاح الأمة ، فباركوا على الملك وقلدوه سيفه ، وقالوا له : أظهر دين النصرانية وذبح عنه ، ووضعوا له أربعين كتاباً فيها السنن والشرائع وفيها ما يصلح أن يعمل به الأساقفة وما يصلح للملك أن يعمل بما فيها . وكان رئيس القوم والمجمع والمقدم فيه بترك الإسكندرية وبتترك أنطاكية وأسقف بيت المقدس .

ووجه بترك رومية من عنده رجلين فاتفق الكل على لعن آريوس وأصحابه ولعنوه وكل من قال بمقالاته ، ووضعوا « الأمانة » وقالوا : إن الابن مولود من الآب قبل كون الخلائق وإن الابن من طبيعة الآب غير مخلوق ، واتفقوا على أن يكون فصيح النصرارى يوم الأحد ليكون بعد فصيح اليهود ، وأن لا يكون فصيح اليهود مع فصيحهم في يوم واحد ، ومنعوا أن يكون للأسقف زوجة ، وذلك أن الأساقفة منذ وقت الحوارين إلى مجمع الثلاثمائة وثمانية عشر كان لهم نساء ؛ لأنهم كانوا إذا صيروا واحداً أسقفاً وكانت له زوجة ثبتت معه ولم تنتج عنه ما خلا البتاركة فإنهم لم يكن لهم نساء ، ولا كانوا أيضاً يصيرون أحداً له زوجة بتركاً . قال : « وانصرفوا مكرمين محظوظين ، وذلك في سبعة عشر سنة من ملك قسطنطين الملك ، ومكث بعد ذلك ثلاث سنين ^(١) :

إحداها : كسر الأصنام وقتل من يعبدها .

والثانية : أمر أن لا يثبت في الديوان إلا أولاد النصرارى ، ويكونون هم الأمراء والقواد .

والثالثة : أن يقيم الناس جمعة الفصح والجمعة التي بعدها لا يعملون فيها عملاً ولا يكون

فيها حرب . وتقدم قسطنطين إلى أسقف بيت المقدس أن يطلب موضع المقبرة والصليب ويبنى الكنائس ، ويبدأ ببناء القيامة ، فقالت هيلانة أمه : إني نذرت أن أسير إلى بيت المقدس وأطلب المواضع المقدسة وأبنيها ، فدفع إليها الملك أموالاً جزيلة ، وسارت مع أسقف بيت المقدس ، فبنت كنيسة القيامة في موضع الصليب وكنيسة قسطنطين .

ثم اجتمعوا بعد هذا مجعاً عظيماً ببيت المقدس ، وكان معهم رجل دسه بترك القسطنطينية وجماعة معه ليسألوا بترك الإسكندرية ، وكان هذا الرجل لما رجع إلى الملك أظهر أنه مخالف لآريوس ، وكان يرى رأيه ويقول بمقالاته ، فقام الرجل وقال : « إن آريوس لم يقل إن المسيح خلق الإنسان ولكن قال : « به خلقت الأشياء لأنه كلمة الله التي بها خلقت السموات والأرض ، وإنما خلق الله الأشياء بكلمته ، ولم تخلق الأشياء كلمته » كما قال المسيح في الإنجيل

(١) لا يستقيم سياق العبارة بهذا الشكل والصحيح كما ورد في تاريخ ابن البطريق نقلاً عن الجواب الصحيح « وسن قسطنطين الملك ثلاث سنين ... » [٢٥/٣] .

« كل بيده كان ومن دونه لم يكن شيء »^(١) ، وقال : « به كانت الحياة والحياة نور البشر »^(٢) ، وقال : « العالم به يكون »^(٣) فأخبر أن الأشياء به تكونت .

قال ابن الطريق : « فهذه كانت مقالة آريوس ولكن الثلاثمائة وثمانية عشر أسقفاً تعدوا عليه وحرموه ظلماً وعدواناً ، فرد عليه بترك الإسكندرية وقال : « أما آريوس فلم تكذب عليه الثلاثمائة وثمانية عشر أسقفاً ولا ظلموه لأنه إنما قال : الابن خالق الأشياء دون الآب ، وإذا كانت الأشياء إنما خلقت بالابن دون أن يكون الآب لها خالقاً فقد أعطى أنه ما خلق منها شيئاً ، وفي ذلك تكذيب قوله : « الآب يخلق ، وأنا أخلق »^(٤) ، وقال : « إن أنا لم أعمل عمل أئى فلا تصدقونى »^(٥) ، وقال : « كما أن الآب يحيى من يشاء ويميت ، كذلك الابن يحيى من يشاء ويميت »^(٦) ، قالوا : فدل على أنه يحيى ويخلق ، وفي هذا تكذيب لمن زعم أنه ليس بخالق وإنما خلقت الأشياء به دون أن يكون خالقاً .

وأما قولك : إن الأشياء كونت به فإنما قلنا : لاشت أن المسيح حتى فعال وكان قد دل بقوله : « إني أفعل الخلق والحياة » كان قولك : « به كونت الأشياء » إنما هو راجع في المعنى إلى أنه كونها وكانت به مكونة ، ولو لم يكن ذلك لتناقض القولان .

قال : « وأما قول من قال من أصحاب آريوس : إن الآب يريد الشيء فيكونه الابن والإرادة للآب والتكوين للابن ، فإن ذلك يفسد أيضاً إذا كان الابن عنده مخلوقاً ، فقد صار حظ المخلوق في الخلق أو في من حظ الخالق فيه ، وذلك أن هذا أراد وفعل . وذلك أراد ولم يفعل فهذا أوفر حظاً في فعله من ذلك ، ولابد لهذا أن يكون في فعله لما يريد ذلك بمنزلة كل فاعل من الخلق لما يريد الخالق منه ، ويكون حكمه كحكمه في الخير والاختيار ، فإن كان مجبوراً فلا شيء له في الفعل ، وإن كان مختاراً فجائز أن يطاع وجائز أن يعصى ، وجائز أن يثاب وجائز أن يعاقب . وهذا أشنع في القول » .

ورد عليه أيضاً وقال : « إن كان الخالق إنما خلق خلقه بمخلوق والمخلوق غير الخالق بلاشك فقد زعمتم أن الخالق بغيره والفاعل بغيره محتاج إلى متمم ليفعل به إذ كان لا يتم له الفعل إلا به ، واحتجاج إلى غيره منقوص والخالق متعال عن هذا كله » .

قال : « فلما دحض بترك الإسكندرية حجج أولئك المخالفين وظهر من حضر بطلان

(١) يوحنا [١ : ٣] ونصه : « كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان » .

(٢) يوحنا [١ : ٩] ونصه : « فيه كانت الحياة والحياة كانت نور الناس » .

(٣) يوحنا [١ : ١٠] ونصه : « كان في العالم وكُنَّ العالم به ... » .

(٤) يوحنا [٥ : ١٧] ونصه : « أئى يعمل حتى الآن وأنا أعمل » .

(٥) يوحنا ٣٦ : ٥ ونصه : « لأن الأعمال التي أعطاني الآب لأأكملها هذه الأعمال بعينها التي أنا أعملها هي تشيد لي أن الآب قد أرسلني » .

(٦) يوحنا [٥ : ٢١] .

قولهم ، وتحيروا وخجلوا وثبوا على بترك الإسكندرية فضربوه حتى كاد يموت ، فخلصه من أيديهم ابن أخت قسطنطين ، وهرب بترك الإسكندرية وصار إلى بيت المقدس من غير حضور أحد من الأساقفة ، ثم أصلح دهن الميرون وقُدس الكنائس ومسحها بدهن الميرون ، وسار إلى الملك فأعلمه الخبر فصرفه إلى الإسكندرية .

قال ابن البطريق : « وأمر الملك أن لا يسكن يهودى بيت المقدس ولا يجوز بها ومن لم يتنصر قتل ، فظهر دين النصرانية وتنصر من اليهود خلق .

فقال للملك : إن اليهود يتنصرون من خوف القتل وهم على دينهم ، فقال : كيف لنا أن نعلم ذلك منهم ؟ فقال بولس البترك : إن الخنزير فى التوراة حرام واليهود لا يأكلون لحم الخنزير ، فأمر أن تذبح الخنازير ويطبخ لحومها ويطعم منها فمن لم يأكل منه علم أنه مقيم على دين اليهودية ، فقال الملك : إذا كان الخنزير فى التوراة حراماً فكيف نحل لنا أن نأكله ونطعمه الناس ؟

فقال له بولس : إن سيدنا المسيح قد أبطل كل ما فى التوراة ، وجاء بنواميس آخر وبتوراة جديدة وهو الإنجيل ، وفى إنجيله « أن كل ما يدخل البطن فليس بحرام ولا نجس ، وإنما ينجس الإنسان ما يخرج من فيه »^(١) .

وقال بولس : « إن بطرس رئيس الخواريين بينما هو يصلى فى ست ساعات من النهار وقع عليه سبات فنظر إلى السماء قد تفتحت . وإذا زاد قد نزل من السماء حتى بلغ الأرض . وفيه كل ذى أربع قوائم على الأرض من السباع والدواب وغير ذلك من طير السماء ، وسمع صوتاً يقول له : يا بطرس قم فاذبح وكل ، فقال بطرس : يارب ما أكلت شيئاً نجساً قط ولادنساً قط ، فجاء صوت ثان : كل ما طهره الله فليس بنجس ، وفى نسخة أخرى : ما طهره الله فلا تنجسه أنت ، ثم جاءه الصوت بهذا ثلاث مرات ، ثم إن الزاد ارتفع إلى السماء . فتعجب بطرس وتحير فيما بينه وبين نفسه »^(٢) .

فأمر الملك أن تذبح الخنازير وتطبخ لحومها وتقطع صغاراً وتصير على أبواب الكنائس فى كل مملكته يوم أحد الفصح ، وكل من خرج من الكنيسة يلقم لقمة من لحم الخنازير ، فمن لم يأكل منه يقتل ، فقتل لأجل ذلك خلق كثير .

ثم هلك قسطنطين وقام بعده أكبر أولاده واسمه « قسطنطين » وفى أيامه اجتمع أصحاب آريوس ومن قال بمقاتله إليه فحسنوا لهم دينهم ومقاتلهم ، وقالوا : إن الثلاثمائة وثمانية عشر أسقف الذين كانوا اجتمعوا بنيقية قد أخطأوا وحادوا عن الحق فى قولهم إن الابن متفق مع

(١) متى [١٥ : ١٦ - ٢٠] ، مرقس [٧ : ١٥] .

(٢) أعمال الرسل [١١ : ٤ - ٩] .

الآب في الجوهر ، فأمر أن لا يقال هذا فإنه خطأ ، فعزم الملك على فعله ، فكتب إليه أسقف بيت المقدس أن لا يقبل قول أصحاب آريوس فإنهم حائدون عن الحق وكفار ، وقد لعنهم الثلاثمائة وثمانية عشر أسقفاً ولعنوا كل من يقول بمقاتلتهم فقبل قوله .

قال ابن البطريق : « وفي ذلك الوقت أعلنت مقالة آريوس على قسطنطينية وإنطاكية والإسكندرية ، وفي ثاني سنة من ملك قسطنطين هذا صار على أنطاكية بترك آريوس ثم بعده آخر مثله » .

قال : « وأما أهل مصر والإسكندرية وكان أكثرهم آريوسيين ومانيين فغلبوا على كنائس مصر فأخذوها ، ووثبوا على بترك الإسكندرية ليقتلوه فهرب منهم واستخفى » .

ثم ذكر جماعة من البتاركة والأساقفة من طوائف النصارى وما جرى فم مع بعضهم بعضاً ، وما تعصبت به كل طائفة لبتاركها حتى قتل بعضهم بعضاً واختلف النصارى أشد الاختلاف وكثرت مقالاتهم واجتمعوا عدة مجامع كل مجمع يلعن فيه بعضهم بعضاً .

ونحن نذكر بعض مجامعهم بعد هذين الجمعين .

فكان لهم مجمع ثالث^(١) بعد ثمان وخمسين سنة من المجمع الأول بنيقية فاجتمع الوزراء والقواد إلى الملك ، وقالوا إن مقالة الناس قد فسدت وغلبت عليهم مقالة آريوس ومكدونيس^(٢) ، فكتب إلى جميع الأساقفة والبتاركة أن يجتمعوا ويوضحوا دين النصرانية فكتب الملك إلى سائر بلادهم ، فاجتمع في قسطنطينية مائة وخمسون أسقفاً ، فنظروا ونخشوا في مقالة آريوس فوجدوها : أن روح القدس مخلوق ، ومصنوع وليس بإله ، فقال بترك الإسكندرية : « ليس روح القدس عندنا غير روح الله ، وليس روح الله غير حياته ، فإذا قلنا : إن روح الله مخلوق فقد قلنا إن حياته مخلوقة ، وإذا قلنا : إن حياته مخلوقة فقد جعلناه غير حي ، وذلك كفر به » .

فلعنوا جميعهم من يقول بهذه المقالة ولعنوا جماعة من أساقفهم وبتاركهم كانوا يقولون بمقالات آخر لم يرتضوها ، وبينوا أن روح القدس خالق غير مخلوق ، إله حق من إله حق من طبيعة الآب والابن ، جوهر واحد وطبيعة واحدة ، وزادوا في الأمانة التي وضعتها الثلاثمائة والثمانية عشر « ونؤمن بروح القدس الرب الخبي الذي من الآب منبثق . الذي مع الآب والابن وهو مسجود وممجّد » .

(١) ابن البطريق يؤكد على أن هذا المجمع هو الثاني بعد المجمع الأول فيقول : « فمن المجمع الأول إلى هذا المجمع الثاني ، ثمان وخمسون سنة » [الجواب الصحيح ٣٣/٣] ويبدو أن ابن القيم قد عدَّ الاجتماع الذي عقده في بيت المقدس مجمعاً ثانياً ، لكن المشهور والمعروف عنهم أن المجمع الأول كان في نيقية والثاني كان في القسطنطينية .

(٢) في سنة ٣٧٠ م ابتدأ مكدونيس وهو من الأريوسيين بنشر تعاليم كفرية عن الروح القدس ، فقال إن الروح القدس مخلوق وإنه ليس إلهاً ، مما أدى إلى انعقاد المجمع وإنتهائه إلى تقرير ألوهية روح القدس وأنه الرب الحي . [الحرية النفيسة (٣٧٢/١) - ٤٠٠] ومحمد نبي الإسلام ص ٧٧ ، ٧٨ .

وكان في تلك الأمانة « وبروح القدس »^(١) فقط : وبينوا أن الابن والآب وروح القدس ثلاثة أقانيم^(٢) وثلاثة وجوه وثلاث خواص ، وأنها وحدة في تثليث وتثليث في وحدة ، وبينوا : أن جسد المسيح بنفس ناطقة عقلية وانفص هذا الجمع وقد لعنوا فيه كثيراً من أساقفتهم وأشياعهم .

ثم بعد إحدى وخمسين سنة من هذا الجمع كان لهم مجمع رابع على نسطورس^(٣) وكان رأيه : أن مريم ليست بوالدة الإله على الحقيقة ، ولذلك كان اثنان :

أحدهما : الإله هو موجود من الآب

والآخر : إنسان وهو الموجود من مريم ، وأن هذا الإنسان الذى نقول إنه المسيح متوحد مع ابن الإله ، ويقال له : إله ، وابن الإله ليس على الحقيقة ولكن موهبة ، واتفاق الاسمين على طريق الكرامة .

فبلغ ذلك بتاركة سائر البلاد فجرت بينهم مراسلات واتفقوا على تخطئته واجتمع منهم مائتا أسقف في مدينة أفسس وأرسلوا إليه للمناظرة فامتنع ثلاث مرات فأجمعوا على لعنه فلعنوه ونفوه وبينوا أن مريم ولدت الهاً وأن المسيح إله حق من إله حق وهو إنسان وله طبيعتان فلما لعنوا نسطورس تعصب له بترك أنطاكية فجمع الأساقفة فلم يزل الملك حتى الذين قدموا معه وناظرهم وقطعهم فقتلوا وتلاعنوا وجرى بينهم شر فتفاهم أمرهم ثم أصلح بينهم فكتب أولئك صحيفة : « أن مريم القديسة ولدت لها وهو ربنا يسوع المسيح الذى هو مع الله في الطبيعة ومع الناس في الناسوت » .

وأقرروا بطبيعتين وبوجه واحد وأقنوم واحد وأنفذوا لعن نسطورس فلما لعنوه ونفى سار إلى مصر وأقام في أخميم سبع سنين ومات ودفن بها ، وماتت مقالته إلى أن أحيائها « ابن صرما » مطران « نصيبين » وبثها في بلاد المشرق فأكثر نصارى المشرق والعراق نسطورية وانفص ذلك المجمع الرابع أيضاً وقد أطبقوا على لعن نسطورس وأشياعه ومن قال بمقالته^(٤) . ثم كان لهم بعد هذا المجمع « مجمع خامس »^(٥) وذلك أنه كان بالقسطنطينية طبيب راهب

(١) يشير إلى قانون الأمانة .. الذى وضع في مجمع نيقية الأول . وأنهم في المجمع الثانى أضافوا إليه بما يوضح طبيعة الروح القدس .

(٢) الأقنوم : الأصل ، وهو من الألفاظ الدخيلة على العربية . وفي موضوع أقانيم النصارى انظر : « الله واحد أم ثلاث » للأستاذ محمد مجدى مرجان .

(٣) يسمى « مجمع أفسس الأول » في سنة ٤٣١ م ، وبالترتيب الذى سرنا عليه يكون المجمع الثالث لا الرابع من مجامعهم المعروفة .

(٤) إلى هنا ينتهى ما نقله ابن القيم عن تاريخ ابن البطريق المسمى « نظم الجوهر » والذى اعتمد على الجواب الصحيح لابن تيمية في نقله [٣٨ — ٥/٣] . وفيما يختص بمجمع أفسس الأول انظر الحريدة النفيسة [٤٨٧/١ — ٤٩٥] .

(٥) المجمع الرابع بترتيبا ، وكان سنة ٤٤٩ م ويسمى « مجمع أفسس الثانى » .

يقال له «أوطيسوس»^(١) يقول : «إن جسد المسيح ليس هو مع أجسادنا بالطبيعة ، وإن المسيح قبل التجسد من طبيعتين وبعد التجسد طبيعة واحدة» .

وهو أول من أحدث هذه المقالة وهي «مقالة اليعقوبية» ، فرحل إليه بعض الأساقفة فناظره وقطعه ودحض حجته ، ثم صار إلى قسطنطينية فأخبر بتركها بالمناظرة وبانقطاعه فأرسل بترك القسطنطينية إليه فاستحضره وجمع جمعاً عظيماً وناظره .

فقال أوطيسوس : «إن قلنا : إن المسيح طبيعتين فقد قلنا بقول «نسطورس» ولكننا نقول : إن المسيح طبيعة واحدة وأقنوم واحد ؛ لأنه من طبيعتين كانتا قبل التجسد ، فلما قبل التجسد زالت عنه وصار طبيعة واحدة وأقنوماً واحداً» .

فقال له بترك القسطنطينية : «إن كان المسيح طبيعة واحدة فالطبيعة القديمة هي المحدث ، وإن كان القديم هو المحدث فالذى لم يزل هو الذى لم يكن ، ولو جاز أن يكون القديم هو المحدث لكان القائم هو القاعد والحار هو البارد» .
فأبى أن يرجع عن مقالته فلعنوه .

فاستعدى إلى الملك وزعم أنهم ظلموه وسأله أن يكتب إلى جميع البطاركة للمناظرة ، فاستحضر الملك البطاركة والأساقفة من سائر البلاد إلى مدينة أفسس ، فثبت بترك الإسكندرية مقالة أوطيسوس وقطع بترك القسطنطينية وأنطاكية وبيت المقدس وسائر البطاركة والأساقفة ، وكتب إلى بترك رومية وإلى جماعة الكهنة فحرمهم ومنعهم من القربان إن لم يقبلوا مقالة أوطيسوس .

ففسدت الأمانة وصارت مقالة أوطيسوس خاصة بمصر والإسكندرية وهو مذهب اليعقوبية ، فافترق هذا المجمع الخامس وكل فريق يلعن الآخر ويحرمه ويرأى من مقالته^(٢) .

فصل : ثم كان لهم بعد هذا «مجمع سادس» في مدينة «خليقدونية»^(٣) فإنه لما مات الملك ولى بعده ماركيان فاجتمع إليه الأساقفة من سائر البلاد فأعلموه ما كان من خذلهم ذلك المجمع وقلة الإنصاف ، وأن مقالة أوطيسوس قد غلبت على الناس وأفسدت دين النصرانية ، فأمر الملك باستحضار سائر البطاركة والمطارنة والأساقفة إلى مدينة خليقدونية فاجتمع فيها ستمائة وثلاثون أسقفًا فنظروا في مقالة «أوطيسوس» وبترك الإسكندرية الذى قطع جميع البطاركة فأفسد الجميع مقالتهما ولعنوهما .

وأثبتوا : «أن المسيح إله وإنسان . فى المكان مع الله باللاهوت . وفى المكان معنا بالناسوت ، يعرف بطبيعتين ؛ تام باللاهوت .. وتام بالناسوت . ومسيح واحد» .

(١) الذى انعقد «مجمع أفسس الثانى» من أجله هو أوطاخي لا «أوطيسوس» كما ذكر ابن القيم . انظر الخريدة النفيسة [٤٩٦/١ - ٥١٠] .

(٢) انظر تفصيل ما حدث فى هذا المجمع فى الخريدة النفيسة [٤٩٧/١ - ٥١٠] .

(٣) المجمع الخامس بترينينا وهو مجمع خليقدونية سنة ٤٥١ م وقد كان هذا المجمع سبب خراب ورماد وانقسام منحل ومعيب للنصرانية كما يقول صاحب الخريدة النفيسة .

وثبتوا أقوال الثلاثمائة وثمانية عشر أسقفا ، وقبلوا قوهم : « بأن الآين مع الله في المكان . نور من نور . إله حق من إله حق » .

ولعنوا آريوس ، وقالوا : « إن روح القدس إله ، وأن الآب والآين وروح القدس واحد بطبيعة واحدة وأقانيم ثلاثة » .

وثبتوا قول المجمع الثالث في مدينة أفسس أعنى المائتي أسقف على « نسطورس » وقالوا : « إن مريم العذراء ولدت إلها ربنا يسوع المسيح الذي هو مع الله بطبيعة ومع الناسوت بطبيعة » ، وشهدوا : « أن للمسيح طبيعتين وأقنوماً واحداً » .

ولعنوا نسطورس وبترك الإسكندرية ، ولعنوا المجمع الثاني الذي كان بأفسس ، ثم المجمع الثالث المائتي أسقف بمدينة أفسس أول مرة ، ولعنوا نسطورس ، وبين نسطورس إلى مجمع خليقدونية إحدى وعشرون سنة ، فانفض هذا المجمع وقد لعنوا من مقدمهم وأساقفتهم من ذكرنا وكفروهم وتبرعوا منهم ومن مقالاتهم^(١) .

ثم كان لهم بعد هذا المجمع « مجمع سابع »^(٢) في أيام « أنسطاس » الملك ، وذلك أن « سورس » القسطنطيني كان على رأى « أوطيسوس » فجاء إلى الملك فقال : « إن المجمع الخليقدوني في الستائة وثلاثين قد أخطأوا في لعن أوطيسوس وبترك الإسكندرية ، والدين الصحيح ما قاله فلا يقبل دين من سواهما ؛ ولكن اكتب إلى جميع عمالك أن يلعنوا الستائة وثلاثين ويأخذوا الناس بطبيعة واحدة ومشية واحدة وأقنوم واحد ، فأجابه الملك إلى ذلك ، فلما بلغ ذلك « إيليا » بترك بيت المقدس جمع الرهبان ولعنوا « أنسطاس » الملك و« سورس » ومن يقول بمقاتلتهما ، فبلغ ذلك « أنسطاس » ونفاه إلى أيلة ، وبعث « يوحنا » بتركاً على بيت المقدس لأن يوحنا كان قد ضمن له أن يلعن المجمع الخليقدوني الستائة وثلاثين ، فلما قدم إلى بيت المقدس اجتمع الرهبان وقالوا : « إياك أن تقبل من سورس ولكن قاتل عن المجمع الخليقدوني ونحن معك » .

فضمن لهم ذلك وخالف أمر الملك ، فبلغ ذلك الملك فأرسل قائداً وأمره أن يأخذ يوحنا بطرح المجمع الخليقدوني ، فإن لم يفعل ينفيه عن الكرسي ، فقدم القائد وطرح يوحنا في الحبس فصار إليه الرهبان في الحبس وأشاروا عليه بأن يضمن للقائد أن يفعل ذلك ، فإذا حضر فليقر بلعنة من لعنة الرهبان ففعل ذلك واجتمع الرهبان وكانوا عشرة آلاف راهب ومعهم مدرس وسابا ورؤساء الديورات ، فلعنوا أوطيسوس وسورس ونسطورس ومن لا يقبل المجمع

(١) انظر تفاصيل ما حدث في هذا المجمع في الخريدة النفيسة [٥١٠/١ - ٥٣٤] .

(٢) يقول صاحب تاريخ الأقباط : « ولا تعترف الكنيسة القبطية . بمجمع خليقدونية ، ولا بقرارته ، كما لا تعترف بالمجامع التي

عقدت بالقسطنطينية بعد ذلك في سنة ٥٥٣ م . سنة ٦١٠ م وسنة ٧٨٦ م لمخالفة الذين اشتركوا فيها مع الكنيسة القبطية في

الاعتقاد بأن للمسيح طبيعة واحدة ومشية واحدة » [١٧٩/١] .

الخليقدوني ، وفزع رسول الملك من الرهبان ، وبلغ ذلك الملك فهم بنفى يوحنا ، فاجتمع الرهبان والأساقفة فكتبوا إلى أنسطاس الملك أنهم لا يقبلون مقالة سورس ولا أحدا من المخالفين ولو أهرقت دماؤهم وسألوه أن يكف أذاه عنهم ، وكتب بترك رومية إلى الملك يقبح فعله ويلعنه .

فانفض هذا المجمع أيضاً وقد تلاعت فيه هذه الجموع على ما وصفنا ! وكان لسورس تلميذ يقال له : يعقوب يقول بمقالة سورس ، وكان يسمى يعقوب البرادعى وإليه تنسب « اليعاقبة » فأفسد أمانة النصارى ، ثم مات أنسطاس وولى قسطنطين فرد كل من نفاه أنسطاس الملك إلى موضعه ، واجتمع الرهبان وأظهروا كتاب الملك وعيدوا عيداً حسناً بزعمتهم ، وأثبتوا المجمع الخليقدوني بالسنة ثلثين أسقفاً ، ثم ولى ملك آخر وكانت اليعقوبية قد غلبوا على الإسكندر وهتلوا بتركاهم يقال له : « بولس » كان ملكها ، فأرسل قائداً ومعه عسكر عظيم إلى الإسكندرية ، فدخل الكنيسة في ثياب البترك ، وتقدمه وقدم فرموه بالحجارة حتى كادوا يقتلونه فانصرف .

ثم أظهر لهم من بعد ثلاثة أيام أنه قد أتاه كتاب الملك ، وضرب الجرس ليجتمع الناس يوم الأحد في الكنيسة فلم يبق أحد بالإسكندرية حتى حضر لسماع كتاب الملك ، وقد جعل بينه وبين جنده علامة إذا هو فعلها وضعوا السيف في الناس ، فصعد المنبر وقال : « يا معشر أهل إسكندرية ! إن رجعت إلى الحق وتركتم مقالة اليعاقبة وإلا لن تأمنوا أن يرسل إليكم الملك من يسفك دماءكم » .

فرموه بالحجارة حتى خاف على نفسه أن يقتل ، فأظهر العلامة فوضعوا السيف على كل من في الكنيسة فقتل داخلها وخارجها أتم لا تحصى كثرة حتى خاض الجند في الدماء ، وهرب منهم خلق كثير ، وظهرت « مقالة الملكية » .

ثم كان لهم بعد ذلك « مجمع ثامن » بعد المجمع الخليقدوني الذي لعن فيه اليعقوبية بمائة سنة وثلاث سنين ، وذلك أن أسقف منيج — وهى بلدة شرق حلب بالقرب منها وهى مخسوفة الآن — كان يقول بالتناسخ وأن ليس قيامة ، وكان أسقف الرها وأسقف المصيصة وأسقف آخر يقولون : « إن جسد المسيح خيال غير حقيقة » فحشروهم الملك إلى قسطنطينية .

فقال لهم بتركها : « إن كان جسده خيالا فيجب أن يكون فعله خيالا وقوله خيالا وكل جسد يعاين لأحد من الناس أو فعل أو قول فهو كذلك » .

وقال لأسقف منيج : « إن المسيح قد قام من الموت وأعلمنا أنه كذلك يقوم الناس من الموت يوم الدينونة ، وقال في « إنجيله » « إنه تأتى ساعة حتى إن كل من في القبور إذا سمعوا

قول ابن الله يحيون»^(١) فكيف تقولون ليس قيامة ؟ فأوجب عليهم الخزي واللعن ، وأمر الملك أن يكون لهم مجمع يلعنون فيه ، واستحضر بتاركة البلاد ، فاجتمع في هذا المجمع مائة وأربعون وستون أسقفاً ، فلعنوا أسقف « منيح » وأسقف « المصيصة » وثبتوا على قول أسقف الرها « إن جسد المسيح حقيقة لا خيال ، وأنه له تام وإنسان تام معروف بطبيعتين ومشيتين وفعلين أقنوم واحد » .

وثبتوا المحامع الأربعة التي قبلهم بعد انجهم الخليقدوني ، وأن الدنيا زائلة ، وأن القيامة كائنة^(٢) ، وأن المسيح يأتي بمجد عظيم فيدين الأحياء والأموات كما قال الثلاثمائة والثمانية عشر . ثم كان لهم « مجمع تاسع » في أيام معاوية بن أبي سفيان تلاعنوا فيه ، وذلك أنه كان برومية راهب قديس يقال له « مقسلس » وله تلميذان ، فجاء إلى « قسطا » الوالي فونخه على قبح مذهبه وشناعة كفره ، فأمر به « قسطا » فقطعت يده ورجلاه ونزع لسانه ، وفعل بأحد التلميذين مثله ، وضرب الآخر بالسياط ونفاه ، فبلغ ذلك ملك قسطنطينية فأرسل إليه أن يوجه إليه من أفاضل الأساقفة ليعلم وجه هذه الحجة ومن الذي كان ابتدأها لكيما يطرح جميع الآباء القديسين كل من استحق اللعنة . فبعث إليه مائة وأربعين أسقفاً وثلاثة شمامسة فلما وصلوا إلى « قسطنطينية » جمع الملك مائة وثمانية وستين أسقفاً فساروا ثلاثمائة وثمانية ، وأسقطوا الشمامسة في « البرطحة » .

وكان رئيس هذا المجمع بترك قسطنطينية وبترك أنطاكية . ولم يكن لبيت المقدس وإسكندرية بترك ، فلعنوا من تقدم من القديسين الذين خالفوهم ، وسموهم واحداً واحداً وهم جماعة . ولعنوا أصحاب المشيئة الواحدة ، ولما لعنوا هؤلاء جلسوا فلخصوا الأمانة المستقيمة بزعمهم ، فقالوا : « نؤمن بأن الواحد من اللاهوت الابن الوحيد الذي هو الكلمة الأزلية الدائم ، المستوى مع الآب الإله في الجوهر ، الذي هو ربنا يسوع المسيح بطبيعتين تامتين ، وفعلين ، ومشيتين ، في أقنوم واحد ووجه واحد ، يعرف تاماً بلاهوته ، تاماً بناسوته ، وشهدت كما شهد مجمع الخليقدونية على ما سبق أن الإله الابن في آخر الأيام اتحد مع العذراء السيدة مريم القديسة جسداً إنساناً بنفسين ، وذلك برحمة الله تعالى بحب البشر ولم يلحقه اختلاط ولا فساد ولا فرقة ولا فصل ، ولكن هو واحد يعمل بما يشبه الإنسان أن يعمل في طبيعته وما يشبه الإله أن يعمل في طبيعته الذي هو الابن الوحيد والكلمة الأزلية المتجسدة إلى أن صارت في الحقيقة لحماً كما يقول الإنجيل المقدس من غير أن تنتقل عن محلها الأزل ، وليست بمتغيرة ولكنها بفعلين ومشيتين وطبيعتين إلهي ، وإنسي ، الذي بهما يكون القول

(١) يوحنا [٥ : ٢٥] ونصه : « الحق أقول لكم إنه تأتي ساعة وهي الآن حين يسمع الأموات صوت ابن الله والسامعون يحيون » . وهو يشير بذلك إلى النبي محمد ﷺ لا على القيامة كما فهم المؤلف .

(٢) فيما يختص بعقيدة النصارى في القيامة ، والعذاب والنعم الآخرين ، انظر : [الإعلام بما في دين النصارى من الأوهام .. للقرطبي ٤/ ٤٣٢ - ٤٣٧] .

الحق ، وكل واحدة من الطبعيتين تعمل مع شركة صاحبتها ، مشيتين غير متضادتين ولا متضارعتين ، ولكن مع المشيئة الإنسية في المشيئة الإلهية القادرة على كل شيء . .

هذه شهادتهم وأمانة المجمع السادس من المجمع الخلقيدوني ، وثبتوا ما بثته المجمع بجامع التي . كانت قبلهم ولعنوا من لعنوه . وبين المجمع الخامس إلى هذا المجمع مائة سنة .

فصل : ثم كان لهم « مجمع عاشر » لما مات الملك وولى بعده ابنه ، واجتمع فريق المجمع السادس وزعموا أن اجتماعهم كان على الباطل ، فجمع الملك مائة وثلاثين أسقفاً فثبتوا قول المجمع السادس ولعنوا من لعنهم وخالفهم ، وثبتوا قول المجمع الخمسة ، ولعنوا من لعنوا وانصرفوا . فانقرضت هذه المجمع والحشود وهم علماء النصراني وقدماءهم وناقولوا الدين إلى المتأخرين وإلهم يستند من بعدهم .

وقد اشتملت هذه المجمع العشرة المشهورة على زهاء أربعة عشر ألفاً من الأساقفة والبتاركة والرهبان كلهم يكفر بعضهم بعضاً ويلعن بعضهم بعضاً ، فدينهم إنما قام على اللعنة بشهادة بعضهم على بعض وكل منهم لاعن ملعون .

فإذا كانت هذه حال المتقدمين مع قرب زمنهم من أيام المسيح وبقاء أخيارهم فيهم والمفعولة دولتهم والكلمة لهم وعلماءهم إذ ذاك أوفر ما كانوا واحتفالهم بأمر دينهم واهتمامهم به كما ترى . ثم هم مع ذلك تائهون حائرون بين لاعن وملعون لا يثبت لهم قدم ، ولا يتحصل لهم قول في معرفة معبودهم ؛ بل كل منهم قد اتخذ إلهه هواه ، وباح باللعن والبراءة ممن اتبع سواه ، فما الظن بخالة الماضين ، ونفاية الغابرين ، وزبالة الحائرين ، وذرية الضالين ، وقد طال عليهم الأمد ، وبُعد العهد ، وصار دينهم ما يتلقونه عن الرهبان .

وقوم إذا كشفت عنهم وجدتهم أشبه شيء بالأنعام ، وإن كانوا في صور الأنام ، بل هم كما قال تعالى ومن أصدق من الله قيلاً ؟ ﴿ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ [الفرقان : ٤٤] وهؤلاء هم الذين عناهم الله سبحانه بقوله : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾ [المائدة : ٧٧] ، ومن أضل من أمة الضلال بشهادة الله ورسوله عليهم ؟ وأمة اللعن بشهادتهم على نفوسهم بلعن بعضهم بعضاً ؟

وقد لعنهم الله سبحانه على لسان رسوله في قوله ﷺ : « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد »^(١) يحذر ما فعلوه . هذا والكتاب واحد ، والرب واحد ، والنبى واحد ، والدعوى واحدة ، وكلهم يتمسك بالمسيح وإنجيله وتلاميذه ثم يختلفون فيه هذا

(١) صحيح . البخارى في الصلاة . باب هل تبنى قبور مشركى الجاهلية ، ويتخذ مكانها مساجد ؟ [٦٢٤/١] وفي مواضع أخرى متعددة . ومسلم في المساجد . باب النبى عن بناء المساجد في القبور .. [١٩ - ٢٢] .

الاختلاف المتباين فمنهم من يقول : « إنه الإله » . ومنهم من يقول : « ابن الإله » . ومنهم من يقول : « ثالث ثلاثة » . ومنهم من يقول : « إنه عبد » . ومنهم من يقول : « إنه أقنوم وطبيعة » . ومنهم من يقول : « طبيعتان »^(١) .

إلى غير ذلك من المقالات التي حكوها عن أسلافهم ، وبكل منهم يكفر صاحبه . فلو أن قوماً لم يعرفوا لهم إلهاً ثم عرض عليهم دين النصرانية هكذا لتوقفوا عنه وامتنعوا من قبوله . فوازن بين هذا وبين ما جاء به خاتم الأنبياء والرسل صلوات الله عليه وسلامه تعلم علماً يضارع المحسوسات أو يزيد عليها : ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ [آل عمران : ١٩] .

❧ نور النبوة ❧

فصل في أنه لا يمكن الإيمان بنبي من الأنبياء أصلاً مع جحود نبوة محمد رسول الله ﷺ ، وأنه من جحد نبوته فهو لنبوة غيره من الأنبياء أشد جحداً .. وهذا يتبين بوجوه :
الوجه الأول : أن الأنبياء المتقدمين بشروا بنبوتهم وأمرؤا أممهم بالإيمان به ، فمن جحد نبوته فقد كذب الأنبياء قبله فيما أخبروا به وخالفهم فيما أمرؤا وأوصؤا به من الإيمان به ، والتصديق به لازم من لوازم التصديق بهم ، وإذا انتفى اللازم انتفى ملزومه قطعاً وبيان الملازمة ما تقدم من الوجوه الكثيرة التي تفيد بمجموعها القطع .. على أنه ﷺ قد ذكر في الكتب الإلهية على ألسن الأنبياء ، وإذا ثبتت الملازمة فانتفاء اللازم موجب لانتفاء ملزومه .

الوجه الثاني : أن دعوة محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه هي دعوة جميع المرسلين قبله من أولهم إلى آخرهم ، فالمكذب بدعوته مكذب بدعوة إخوانه كلهم ، فإن جميع الرسل جاؤوا بما جاء به ، فإذا كذبه المكذب فقد زعم أن ما جاء به باطل ، وفي ذلك تكذيب كل رسول أرسله الله وكل كتاب أنزله الله ، ولا يمكن أن يعتقد أن ما جاء به صدق وأنه كاذب مفتر على الله .

وهذا في غاية الوضوح . وهذا بمنزلة شهود شهدوا بحق فصدقهم الخصم ، وقال : هؤلاء كلهم شهود عدول صادقون ، ثم شهد آخر على شهادتهم سواء . فقال الخصم : هذه الشهادة باطلة وكذب لا أصل لها ، إن ذلك تكذيب بشهادة جميع الشهود قطعاً ، ولا ينجيه من تكذيبهم اعترافه بصحة شهادتهم وإنها شهادة حق مع قوله : إن الشاهد بها كاذب فيما شهد به .

فكما أنه لو لم يظهر محمد ﷺ لبطلت نبوات الأنبياء قبله فكذلك إن لم يصدق لم يمكن

(١) لمزيد من التعريف على مذاهب النصارى انظر : « التاريخ المجموع » لابن البطريق ص ١٥٨ وما بعدها .

تصديق نبي من الأنبياء قبله..

الوجه الثالث : إن الآيات والبراهين التي دلت على صحة نبوته وصدقه أضعاف أضعاف آيات من قبله من الرسل ، فليس لنبي من الأنبياء آية توجب الإيمان به إلا ولحمد رسول الله ﷺ مثلها أو ما هو في الدلالة مثلها وإن لم يكن من جنسها ، فأيات نبوته أعظم وأكبر وأبهر وأدل ، والعلم بنقلها قطعي ، لقرب العهد ، وكثرة النقلة ، واختلاف أمصارهم وأعصارهم ، واستحالة تواطئهم على الكذب .

فالعلم بآيات نبوته كالعلم بنفس وجوده وظهوره وبلده ، بحيث لا تمكن المكابرة في ذلك ، والمكابر فيه في غاية الوقاحة والبهت ، كالمكابرة في وجود ما يشاهده الناس ولم يشاهده هو من البلاد والأقاليم والجبال والأنهار .

فإن جاز القدح في ذلك كله ، فالقدح في وجود عيسى وموسى وآيات نبوتها أجوز وأجوز ، وإن امتنع القدح فيهما وفي آيات نبوتها فامتناعه في محمد ﷺ وآيات نبوته أشد . ولذلك لما علم بعض علماء أهل الكتاب أن الإيمان بموسى لا يتم مع التكذيب بمحمد أبداً . كفر بالجميع ، وقال . ﴿ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ ﴾ ، كما قال تعالى : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُوراً وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قُرْآنًا يُلْقُونَ فِي خُوضِهِمْ يَلْقَوْنَ ﴾ [الأنعام : ٩١] ، قال سعيد بن جبير : جاء رجل من اليهود يقال له مالك بن الصيف يخاصم النبي ﷺ ، فقال له النبي ﷺ : « أنشدك بالذي أنزل التوراة على موسى ، أما تجد في التوراة أن الله يفضي الخبر السمين ؟ » وكان حبراً سميناً ، ففضب عدو الله وقال : والله ما أنزل الله على بشر من شيء . فقال له أصحابه الذين معه : ويحك ولا موسى ؟ فقال : والله ما أنزل الله على بشر من شيء . فأنزل الله عز وجل : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾^(١) الآية ؛ وهذا قول عكرمة .

وقال محمد بن كعب : جاء ناس من اليهود إلى النبي ﷺ وهو محتب ، فقالوا : يا أبا القاسم ، ألا تأتينا بكتاب من السماء كما جاء به موسى ألواحاً يحملها من عند الله عز وجل ؟ فأنزل الله عز وجل : ﴿ يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تَنْزَلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ ، فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ ﴾ [النساء : ١٥٣] . وجاء رجل من اليهود فقال : ما أنزل الله عليك ولا على موسى ولا على عيسى ولا على أحد شيئاً ، ما أنزل الله على بشر من شيء ، فحل رسول الله ﷺ حبوته^(٢) ، وجعل يقول : « ولا على أحد »^(٣) .

(١) أسباب النزول للواحدى [ص ١٦٤] ولباب المنقول للسيوطى [ص ٨١] .

(٢) احتبى الثوب : أداره على ساقيه وظهره وهو جالس ليستند والجيرة : الاحياء . وما يحيى به من ثوب وغيره .

(٣) أسباب النزول [ص ١٣٨] ولباب المنقول [ص ٦٦] وابن كثير في تفسيره [٥٧٢/١] .

وذهب جماعة منهم مجاهد ، إلى أن الآية نزلت في مشركى قريش ، فهم الذين جحدوا أصل الرسالة ، وكذبوا بالرسول ، وأما أهل الكتاب فلم يجحدوا نبوة موسى وعيسى . وهذا اختيار ابن جرير ، قال : وهو أولى الأقاويل بالصواب ، لأن ذلك في سياق الخبر عنهم ، فهو أشبه من أن يكون خيراً عن اليهود ، لم يجبر لهم ذكر يكون هذا به متصلاً ، مع ما في الخبر عمن أخبر الله عنه من هذه الآية من إنكاره أن يكون الله أنزل على بشر شيئاً من الكتب ، وليس ذلك مما تدّين به اليهود ، بل المعروف من دين اليهود الإقرار بصحف إبراهيم ، وموسى ، وزبور داود ، والخبر من أول السورة إلى هذا الموضع خبر عن المشركين من عبدة الأوثان ، وقوله : ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ موصول به غير مفصول عنه ، قلت : ويقوى قوله ؛ أن السورة مكية ، فهي خبر عن زنادقة العرب ، المنكرين لأصل النبوة^(١) .

ولكن بقى أن يقال : فكيف يحسن الرد عليهم بما لا يقرون به من أنزال الكتاب الذى جاء به موسى ؟ وكيف يقال لهم : ﴿تَجْعَلُونَهُ قَرَأَيسَ تُبْدِنُهَا وَتُخْفُونَ كَثِيراً﴾ ؟ ولا سيما على قراءة من قرأ بقاء الخطاب^(٢) . وهل ذلك صالح لغير اليهود ؟ فإنهم كانوا يخفون من الكتاب ما لا يوافق أهواءهم وأغراضهم ، ويدعون منه ما سواه ، فاحتج عليهم بما يقرون به من كتاب موسى ، ثم وبخهم بأنهم خانوا الله ورسوله فيه ، فأخفوا بعضه وأظهروا بعضه ، وهذا استطراد من ذكر جحدهم النبوة بالكلية ، وذلك لإخفاء لها وكتمان إلى جحد ما أقروا به كتابهم بإخفائه وكتمانه ، فذلك تحية لهم معروفة لا تنكر ، إذ من أخفى بعض كتابه الذى يقر بأنه من عند الله ، كيف لا يجحد أصل النبوة ؟ .

ثم احتج عليهم ، بأنهم قد علموا بالوحى ما لم يكونوا يعلمونه هم ولا آبائهم ، ولولا الوحى الذى أنزله على أنبيائه ورسله لم يصلوا إليه ، ثم أمر رسوله أن يجيب عن هذا السؤال ، وهو قوله : ﴿مَنْ أُنْزِلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى﴾ فقال : ﴿قُلِ اللَّهُ﴾ أى الله الذى أنزله ، أى إن كفروا به وجحدوه فصدق به أنت وأقر به ﴿لَمْ يَذَرُهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ .

وجواب هذا السؤال أن يقال : إن الله سبحانه احتج عليهم بما يقر به أهل الكتابين وهم أولو العلم دون الأمم التى لا كتاب لها ، أى إن جحدتم أصل النبوة وأن يكون الله أنزل على بشر شيئاً فهذا كتاب موسى يقر به أهل الكتاب وهم أعلم منكم فاسألوهم عنه ، ونظائر هذا

(١) يقول ابن كثير في تفسيره لهذه الآية : «قال ابن عباس ومجاهد وعبد الله بن كثير نزلت في قريش واختاره ابن جرير ، وقيل : نزلت في طائفة من اليهود وقيل : في فحاص رجل منهم ، وقيل : في مالك بن الصيف والأول أصح لأن الآية مكية واليهود لا ينكرون إنزال الكتب من السماء وقريش والعرب قاطبة كانوا ينكرون إرسال محمد لأنه من البشر ، [١٥٦/٢] .

(٢) قرأ ابن كثير وأبو عمرو بالياء جميعاً ، وقرأ نافع وعاصم وابن عامر وحمة والكسائي بالياء جميعاً . [السبعة في القراءات لابن مجاهد . ص ٢٦٢ ، ٢٦٣] تحقيق د . شوق ضيف

في القرآن كثيرة يستشهد سبحانه بأهل الكتاب على منكرى النبوات والتوحيد ، والمعنى إنكم إن أنكرتم أن يكون الله أنزل على بشر شيئاً فمن أنزل كتاب موسى ؟ فإن لم تعلموا ذلك فاسألوا أهل الكتاب ، وأما قوله تعالى : ﴿يَجْعَلُونَهُ قُرْآنًا وَيَخْفُونَهُ كَثِيرًا﴾ فمن قرأها بالياء فهو إخبار عن اليهود بلفظ الغيبة ، ومن قرأها بلفظ التاء للخطاب فهو خطاب لهذا الجنس الذي فعلوا ذلك أى تجعلونه يا من أنزل عليه كذلك ، وهذا من أعلام نبوته أن يخبر أهل الكتاب بما اعتمدوه في كتابهم ، وأنهم جعلوه قرايطس وأبدوا بعضه وأخفوا كثيراً منه ، وهذا لا يعلم من غير جهتهم إلا بوحي من الله ، ولا يلزم أن يكون قوله : ﴿يَجْعَلُونَهُ قُرْآنًا﴾ خطاباً لمن حكى عنهم أنهم قالوا : ﴿مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ﴾ بل هذا استطراد من الشيء إلى نظيره وشبهه ولازمه ، وله نظائر في القرآن كثيرة كقوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ، ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نَفْثَةً فِي قُرَارٍ مَكِينٍ ، ثُمَّ خَلَقْنَا النُّفُثَةَ عَلَقَةً ، فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً﴾ إلى آخر الآية [المؤمنون : ١٢ - ١٤]

فاستطرد من الشخص المخلوق من الطين وهو آدم إلى النوع المخلوق من النطفة وهم أولاده ، وأوقع الضمير على الجميع بلفظ واحد ، ومثله قوله تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ، فَلَمَّا كَشَفَا عَنْهُمَا خِطَابَهُمَا فَمَرَّ بِهِ ، فَلَمَّا تَفَلَّتْ عَنْهُمَا رَأَى بَيْنَهُمَا بَنَيْنَ صَالِحًا لِنُكَوتِ الشَّاكِرِينَ . فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَ لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا ، فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ إلى آخر الآيات [الأعراف : ١٨٩ - ١٩٥] .

ويشبه هذا قوله تعالى : ﴿وَلَوْ أَنَّ سَائِقَهُمْ مِنَ خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَيَقُولُنَّ خَلَقْنَاهُنَّ الْغَزِيرَ الْعَلِيمُ . الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا كَذَلِكَ نُخْرِجُوهَا وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا﴾ إلى آخر الآيات [الزخرف : ٩ - ١١] .

وعلى التقديرين فهؤلاء لم يتم لهم إنكار نبوة النبي ﷺ ومكابرتهم إلا بهذا الجحد والتكذيب العام ، ورأوا أنهم إن أقروا ببعض النبوات وجحدوا نبوته ظهر تناقضهم وتفرقهم بين المتماثلين ، وأنهم لا يمكنهم الإيمان بنبي وجحد نبوة من نبوته أظهروا آياتها أكثر وأعظم ممن أقروا به .

وأخبر سبحانه أنه من جحد أن يكون قد أرسل رسله وأنزل كتبه لم يقدره حق قدره ، وأنه نسبه إلى ما لا يليق به بل يتعالى ويتزعه عنه ، فإن في ذلك إنكار دينه وإلهيته وملكه وحكمته ورحمته ، والظن السيء به أنه خلق خلقه عبثاً باطلاً ، وأنه خلاهم سداً مهملًا وهذا يناقض كماله المقدس وهو متعال عن كل ما يناقض كماله .

فمن أنكر كلامه وتكليمه وإرساله الرسل إلى خلقه فما قدره حق قدره ، ولا عرفه حق معرفته ، ولا عظمه حق عظمته ، كما أن من عبد معه إلها غيره لم يقدره حق قدره معطل جاحد لصفات كماله ونعوت جلاله وإرسال رسله وإنزال كتبه ، ولا عظمه حق عظمته .
ولذلك كان جحد نبوة خاتم أنبيائه ورسله وإنزال كتبه وتكذيبه إنكارا للرب تعالى في الحقيقة وجحوداً له ، فلا يمكن الإقرار بربوبيته وإلهيته وملكوته بل ولا بوجوده مع تكذيب محمد ابن عبد الله ﷺ .

وقد أشرنا إلى ذلك في المناظرة التي تقدمت^(١) ، فلا يجامع الكفر برسول الله ﷺ الإقرار بالرب تعالى وصفاته أصلاً ، كما لا يجامع الكفر بالمعاد واليوم الآخر الإقرار بوجود الصانع أصلاً .

وقد ذكر سبحانه ذلك في موضعين من كتابه في سورة الرعد في قوله : ﴿ وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَإِذَا كُنَّا تُرَاباً أَتَنَّا لِقَىٰ خَلْقِ جَدِيدٍ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ ﴾ والثاني في سورة الكهف في قوله تعالى : ﴿ وَدَخَلَ جَنَّتُهُ ، وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ، وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِّدْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا ، قَالَ لَهُ صَاحِبُهَا وَهُوَ يُحَاوِرُهُ : أَكَفَرْتُ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُفْثَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا لَّكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴾ [الكهف : ٣٥ — ٣٨] ، فالرسول صلوات الله وسلامه عليه إنما جاء بتعريف الرب تعالى بأسمائه وصفاته وأفعاله والتعريف بحقوقه على عباده ، فمن أنكر رسالاته فقد أنكر الرب الذي دعا إليه وحقوقه التي أمر بها ؛ بل نقول : لا يمكن الاعتراف بالحقائق على ما هي عليه مع تكذيب رسوله ، وهذا ظاهر جداً لمن تأمل مقالات أهل الأرض وأديانهم .

فإن الفلاسفة لم يمكنهم الاعتراف بالملائكة والجن والمبدأ والمعاد وتفصيل صفات الرب تعالى وأفعاله مع إنكار النبوات ؛ بل والحقائق المشاهدة التي لا يمكن إنكارها لم يثبتوها على ما هي عليه ولا أثبتوا حقيقة واحدة على ما هي عليه البتة ، وهذا ثمرة إنكارهم النبوات فسلبهم الله إدراك الحقائق التي زعموا أن عقولهم كافية في إدراكها ، فلم يدركوا منها شيئاً على ما هو عليه ، حتى ولا الماء ولا الهواء ولا الشمس ولا غيرها . فمن تأمل مذاهبهم فيها علم أنهم لم يدركوها وإن عرفوا من ذلك بعض ما خفى على غيرهم . وأما « المجوس » فأضل وأصل . وأما « عباد الأصنام » فلا عرفوا الخالق ولا عرفوا حقيقة المخلوقات ، ولا ميزوا بين الشياطين والملائكة وبين الأرواح الطيبة والخبثة ، وبين أحسن الحسن وأقبح القبيح ، ولا عرفوا كمال النفس وما تسعد به ونقصها وما تشقى به .

وأما « النصاري » فقد عرفت ما الذي أدركوه من معبودهم وما وصفوه به وما الذي قالوه

(١) ذكر المؤلف هذه المناظرة عقب حديثه عن البشارات عن محمد ﷺ في السؤال الثالث .

في نبيهم ، وكيف لم يدركوا حقيقته البتة ، ووصفوا الله بما هو من أعظم العيوب والنقائص ، ووصفوا عبده ورسوله بما ليس له بوجه من الوجوه ، وما عرفوا الله ولا رسوله^(١) ، والمعاد الذي أقروا به لم يدركوا حقيقته ولم يؤمنوا بما جاءت به الرسل من حقيقته ، إذ لا أكل عندهم في الجنة ولا شرب ولا زوجة هناك ولا حور عين يلذ بهن الرجال كلذائهم في الدنيا ، ولا عرفوا حقيقة أنفسهم ومانسعد به وتشقى ، ومن لم يعرف ذلك فهو أجدر أن لا يعرف حقيقة شيء كما ينبغي البتة ، فلا لأنفسهم عرفوا ولا لفاطرها وبارئها ، ولأن جعله الله سبباً في فلاحها وسعادتها ، ولا للموجودات وأنها جميعها فقيرة مربوبة مصنوعة ناطقها وصامتها آدميا وجنبا وملكها ، فكل من في السموات عبده وملكه ، وهو مخلوق مصنوع مربوب فقير من كل وجه ، ومن لم يعرف هذا لم يعرف شيئاً .

اليهود أغنياء قتلة الأنبياء

وأما اليهود فقد حكى الله لك عن جهل أسلافهم وغبائهم وضلالهم ما يدل على ما وراءه من ظلمات الجهل التي بعضها فوق بعض ، ويكفي في ذلك عبادتهم العجل الذي صنعتهم أيديهم من ذهب^(٢) ، ومن عبادتهم أن جعلوه على صورة أبلد الحيوان وأقله فطانة الذي يضرب المثل به في قلة الفهم ، فانظر إلى هذه الجهالة والغاوة المتجاوزة للحد كيف عبدوا مع الله إلهاً آخر وقد شاهدوا من أدلة التوحيد وعظمة الرب وجلاله ما لم يشاهده سواهم ! وإذ قد عزموا على اتخاذ إله دون الله اتخذوه ونبيهم حى بين أظهرهم لم ينتظروا موته ! وإذ قد فعلوا لم يتخذوه من الملائكة المقربين ولا من الأحياء الناطقين بل اتخذوه من الجمادات ! وإذ قد فعلوا لم يتخذوه من الجواهر العلوية كالشمس والقمر والنجوم بل من الجواهر الأرضية ! وإذ قد فعلوا لم يتخذوه من الجواهر التي خلقت فوق الأرض عالية عليها كالجبال ونحوها بل من جواهر لا تكون إلا تحت الأرض والصخور والأحجار عالية عليها ! وإذ قد فعلوا لم يتخذوه من جوهر يستغنى عن الصنعة وإدخال النار وتقليبه وجوهاً مختلفة وضربه بالحديد وسبكه بل من جوهر يحتاج إلى نيل الأيدي له بضروب مختلفة وإدخاله النار وإحراقه واستخراج خبثه ! وإذ قد فعلوا لم يصوغوه على تمثال ملك كريم ولا نبي مرسل ولا على تمثال جوهر علوى لاتناله الأيدي بل على تمثال حيوان أرضى ! وإذ قد فعلوا لم يصوغوه على تمثال أشرف الحيوانات وأقواها وأشدّها امتناعاً من الضيم كالأسد والفيل ونحوهما بل صاغوه على

(١) لمزيد من البيان والتفصيل عن عقيدة الألوهية عند النصارى انظر كتاب «الله واحد أم ثالث» للأستاذ محمد مجدى مرجان .

(٢) تحدث القرآن عن عبادتهم للعجل في أكثر من سورة من سورة ، كذلك تحدث التوراة ، وإن كانت قد نسبت صناعة العجل لهارون عليه السلام ، وهذا من افتراءهم وخبثهم على أنبياء الله . [سفر الخروج ٣٢ : ١ - ٦] .

تمثال أبلد الحيوان وأقبله للضميم والذل بحيث يحترث عليه الأرض ويسقى عليه بالسواق والدواليب^(١) ولا له قوة يمتنع بها من كبير ولا صغير .

فأى معرفة هؤلاء بمعبودهم ونبهم وحقائق الموجودات ؟

وحقيق بمن سأل نبيه أن يجعل له إلهاً فيعبد إلهاً مجعولاً بعد ما شاهد تلك الآيات الباهرات أن لا يعرف حقيقة الإله ولا أسمائه وصفاته ونعوته ودينه ، ولا يعرف حقيقة المخلوق وحاجته وفقره .

ولو عرف هؤلاء معبودهم ورسولهم لما قالوا لنبهم : ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾ [البقرة : ٥٥] ولا قالوا له : ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا﴾ [المائدة : ٢٤] ولا قتلوا نفساً وطرحوا المقتول على أبواب البراء من قتله ونبهم حتى بين أظهرهم وخبر السماء والوحي يأتيه صباحاً ومساءً ، فكأنهم جوزوا أن يخفى هذا على الله كما يخفى على الناس^(٢) ! ولو عرفوا معبودهم لما قالوا في بعض مخاطباتهم له : « يا أبانا انتبه من رقدتك ، كم تنام » . ولو عرفوا لما سارعوا إلى محاربة أنبيائه وقتلهم وحبسهم ونفهم ولما تحيلوا على تحليل محارمه وإسقاط فرائضه بأنواع الحيل .

ولقد شهدت التوراة بعدم فطانتهم وأنهم من الأغبياء^(٣) ، ولو عرفوه لما حجروا عليه بعقولهم الفاسدة أن يأمر بالشيء في وقت لمصلحة ثم يزيل الأمر به في وقت آخر لحصول المصلحة وتبدله بما هو خير منه وينهى عنه ثم يبيحه في وقت آخر لاختلاف الأوقات والأحوال في المصالح والمفاسد ، كما هو مشاهد في أحكامه القدريّة الكونية التي لا يتم نظام العالم ولا مصلحته إلا بتبديلها واختلافها بحسب الأحوال والأوقات والأماكن ، فلو اعتمد طبيب أن لا يغير الأدوية والأغذية بحسب اختلاف الزمان والأماكن والأحوال لأهلك الحرث والنسل وعد من الجهال ، فكيف يحجر على طبيب القلوب والأديان أن تتبدل أحكامه بحسب اختلاف المصالح^(٤) ؟ وهل ذلك إلا قدح في حكمته ورحمته وقدرته وملكه التام وتديره لخلقهم ؟

ومن جهلهم بمعبودهم ورسوله وأمره أنهم أمروا أن يدخلوا باب المدينة التي فتحها الله عليهم سجداً ويقولوا : حطة ، فيدخلوا متواضعين لله سائلين منه أن يحط عنهم خطاياهم ،

(١) مفردا اللؤلؤ : وهو الآلة التي تديرها الدابة ليستقي بها .

(٢) يقصد المؤلف بالمقتول الإشارة إلى قصة بقره بنى إسرائيل التي تحدث عنها القرآن الكريم في سورة البقرة ، الآيات [من ٦٦ : ٧٢] .

(٣) سفر الخروج [٣٢ : ٢٧ - ٢٨] ، الملوك الثاني [١٧ : ٩ - ٢٣] سفر اشعيا [١ : ٣] .

(٤) فيما يتعلق بقضية النسخ في التوراة انظر إظهار الحق لرحمت الله فقد عقد باباً كاملاً بعنوان « في إثبات النسخ » [١/٣٧٥ - ٣٩٨] .

فدخلوا يزحفون على أستاههم بدل السجود لله ، ويقولون : «هنا سقمانا» أى حنطة سمراء ، فذلك سجودهم وخشوعهم ، وهذا استغفارهم واستقالتهم من ذنوبهم^(١) .
ومن جهلهم وغباوتهم أن الله سبحانه أراهم من آيات قدرته وعظيم سلطانه وصدق رسوله ما لا مزيد عليه ، ثم أنزل عليهم بعد ذلك كتابه وعهد إليهم فيه عهده وأمرهم أن يأخذوه بقوة فيعبدوه بما فيه كما خلصهم من عبودية فرعون والقيبط فأبوا أن يقبلوا ذلك وامتنعوا منه ، فتق الجبل العظيم فوق رؤوسهم على قدرهم ، وقيل لهم : إن لم تقبلوا أطبقته عليكم فقبلوه من تحت الجبل^(٢) .

قال ابن عباس : رفع الله الجبل فوق رؤوسهم وبعث ناراً من قبل وجوههم ، وأتاهم البحر من تحتهم ، ونودوا إن لم تقبلوا أرضختكم بهذا ، وأحرقتكم بهذا ، وأغرقتكم بهذا ، فقبلوه ، وقالوا : سمعنا وأطعنا ولولا الجبل ما أطعناك ولما آمنوا بعد ذلك قالوا : ﴿سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ [البقرة : ٩٣]

ومن جهلهم أنهم شاهدوا الآيات ورأوا العجائب التى يؤمن على بعضها البشر ثم قالوا بعد ذلك : ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾ وكان الله سبحانه قد أمر موسى أن يختار من خيارهم سبعين رجلاً لميقاته ، فاخترهم موسى وذهب بهم إلى الجبل ، فلما دنى موسى من الجبل وقع عليه عمود الغمام حتى تغشى الجبل ، وقال للقوم : ادنوا ودنى القوم حتى إذا دخلوا فى الحجاب وقعوا سجداً ، فسمعوا الرب تعالى وهو يكلم موسى ويأمره وينهاه ويعهد إليه ، فلما انكشف الغمام قالوا : ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾ .

ومن جهلهم أن هارون لما مات ودفنه موسى قالت بنو إسرائيل لموسى : أنت قتلته حسدته على خلقه ولينه ومحبة بنى إسرائيل له ، قال : فاختراروا سبعين رجلاً فوقفوا على قبر هارون ، فقال موسى : يا هارون أقتلت أم مت ؟ قال : بل مت وما قتلتى أحداً^(٣) .

فحسبك من جهالة أمة وجفائهم أنهم اتهموا نبيهم ونسبوه إلى قتل أخيه فقال موسى : ما

(١) زحف بنى إسرائيل على أستاههم عند دخولهم الأرض المقدسة على الحقيقة لا المجاز لما رواه البخارى فى صحيحه عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال : «قيل لبنى إسرائيل «ادخلوا الباب سجداً وقولوا حطة» فدخلوا يزحفون على أستاههم فبدلوا ، وقالوا حطة حبة فى شجرة البخارى فى الأنبياء [٥٠٢/٦] . وفى التفسير . سورى البقرة والأعراف [١٤/٨] ، [١٥٤] . كذلك فإن ابن كثير بعد استعراضه لأراء المفسرين فى هذه الآية يقول : «وحاصل ما ذكره المفسرون وما دل عليه السياق أنهم بدلوا أمر الله لهم من الخضوع بالقول والفعل فأمروا أن يدخلوا سجداً فدخلوا يزحفون على أستاههم من قيل أستاههم رافعى رؤوسهم ، وأمروا أن يقولوا حطة أى انحطط عنا ذنوبنا وعظلماتنا فاستزبروا فقالوا : حطة فى شجرة ، وهذا فى غاية ما يكون من المخالفة والمعاندة ولهذا أنزل الله بهم بأسه وعذابه بفسقهم وهو خروجهم عن طاعته [٩٨/١] ، [٩٩] . (٢) تنق الجبل ورد ذكره فى القرآن فى سورة الأعراف الآية ١٧١ ، وانظر تفسير ابن كثير [١٠٤/١] ، [١٠٥] ، [٢٦٠/٢] ، [٢٦١] وسفر الخروج [٢٤ : ١ -] [٣٣ : ٧ -] .

(٣) لم يرد ذكر لذلك فى التوراة . وانظر قصص الأنبياء للشيخ عبد الوهاب النجار [ص ٢٨٣ ، ٢٨٥] .

فلم يصدقوه حتى أسمعهم كلامه وبراعة أخيه مما رموه به .
ومن جهلهم أن الله سبحانه شبيههم في حملهم التوراة وعدم الفقه فيها والعمل بها بالحمار
يحمل أسفارا^(١)، وفي هذا التشبيه من النداء على جهالتهم وجوه متعددة :
(منها) أن الحمار من أبلد الحيوانات التي يضرب بها المثل في البلادة .
(ومنها) أنه لو حمل غير الأسفار من طعام أو علف أو ماء لكان له به شعور بخلاف
الأسفار .

(ومنها) أنهم حملوها لأنهم حملوها طوعا واختيارا بل كانوا كالمكلفين لما حملوه لم يرفعوا
به رأساً .
(ومنها) أنهم حيث حملوها تكليفا وقهرا لم يرضوا بها ولم يحملوها رضا واختيارا وقد علموا
أنهم لا بد لهم منها ، وأنهم إن حملوها اختيارا كانت لهم العاقبة في الدنيا والآخرة .
(ومنها) أنها مشتملة على مصالح معاشهم ومعادهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة^(٢)
فإعراضهم عن التزام ما فيه سعادتهم وفلاحهم إلى ضده من غاية الجهل والغاوة وعدم الفطنة .
ومن جهلهم وقلة معرفتهم أنهم طلبوا عوض المن والسلوى اللذين هما أطيب الأطعمة
وأنفعها وأوفقها للغذاء الصالح ، البقل والقثاء والثوم والعدس والبصل^(٣) ، ومن رضى
باستبدال هذه الأغذية عوضاً عن المن والسلوى لم يكثر عليه أن يستبدل الكفر بالإيمان
والضلالة بالهدى والغضب بالرضا والعقوبة بالرحمة ، وهذه حال من لم يعرف ربه ولا كتابه
ولا رسوله ولا نفسه .

وأما نقضهم ميثاقهم ، وتبديلهم أحكام التوراة ، وتخريفهم الكلم عن مواضعه ، وأكلهم
الربا وقد نهوا عنه ، وأكلهم الرشا ، واعتدائهم في السبت حتى مسحوا قردة ، وقتلهم الأنبياء
بغير حق ، وتكذيبهم عيسى ابن مريم رسول الله ، ورميهم له ولأمه بالعظام ، وحرصهم على

(١) مشار إليه في قوله تعالى ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْإِسْرَافِيِّ إِذْ أَخَذَ مِنَ الْمَالِ مَا كَانَتْ يَوْمَهُ يَسْرِفُ﴾ [الجمعة: ٥] .
(٢) يتحدث الدكتور سعد الدين صالح في كتابه «العقيدة اليهودية ..» عن عقيدة البعث والحساب عند اليهود فيقول : «وبما
لا شك فيه أن التوراة الحقيقية المنزلة على موسى قد اشتملت على هذه العقيدة ونادت بالإيمان بها ، ولكن التوراة الحالية خلقت
تماماً من ذكر عقيدة اليوم الآخر والحساب والعقاب بصورة واضحة اللهم إلا بعض شذرات في سفر دانيال تشير لإشارات بعيدة
إلى هذه العقيدة ، ولكن ما عليه إجماع اليهود هو أنه ليس هناك بعث بعد الموت وأن الحساب والعقاب هو في الدنيا وحسب»
ويقول : «ولكن هناك بعض الفرق اليهودية أثبتت البعث بطريقة أخرى وهي فرقة الفريسيين التي صورت البعث تصويراً
دنيوياً... ثم يستدرك قائلاً : «ولكن هناك بعض شذرات في سفر إرميا وسفر دانيال تشير لإشارات واضحة إلى قيام الأموات
من التراب ودخولهم ، إما الجنة وإما النار» [دانيال ١٢ : ٢] . وفي النهاية يقف متسائلاً....

(٣) سفر التثنية [١١ : ٤ ، ٥] . وقد ورد تفسير المن في التوراة بأنه «شيء دقيق مثل قشور . دقيق كالجليد على الأرض»
[خروج ١٦ : ١٤] وبأنه «كَبْزَرُ الْكَزْبَرَةِ أبيض وطعمه كرقائق بعسل» [خروج ١٦ : ٣١] أما السلوى فهو طائر يشبه
السماني لذيق اللحم كما ورد في تفسير ابن كثير [٩٤/١ - ٩٧] .

قتله ، تفردهم دون الأمم بالخبث والبهت ، وشدة تكاليفهم على الدنيا وحرصهم عليها ، وقسوة قلوبهم ، وحسدكم ، وكثرة سخرهم : فإليه النهاية .

وهذا وأضعافه من الجهل وفساد العقل قليل على من كذب رسل الله وجاهر بمعاداته ومعاداة ملائكته وأنبيائه وأهل ولايته ، فأى شيء عرف من لم يعرف الله ورسله ؟ وأى حقيقة أدرك من فاتته هذه الحقيقة ؟

وأى علم أو عمل حصل لمن فاتته العلم بالله ، والعمل بمريضاته ، ومعرفة الطريق الموصلة إليه ، ومآله بعد الوصول إليه .

فأهل الأرض كلهم في ظلمات الجهل والغي إلا من أشرق عليه نور النبوة ، كما في المسند وغيره من حديث عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ قال : « إن الله خلق خلقه في ظلمة وألقى عليهم من نوره ، فمن أصاب من ذلك النور اهتدى ، ومن أخطأ ضلّ لذلك أقول : جف القلم على علم الله » (١) .

ولذلك بعث الله رسله ليخرجوا الناس من الظلمات إلى النور ، فمن أجابهم خرج إلى الفضاء والنور والضياء ، ومن لم يجيبهم بقى في الضيق والظلمة التي خلق فيها ، وهي : ظلمة الطبع ، وظلمة الجهل ، وظلمة الهوى ، وظلمة الغفلة عن نفسه وكألفها وما تسعد به في معاشها ومعادها . فهذه جملة ظلمات خلق فيها العبد ، فبعث الله رسله لإخراجه منها إلى العلم والمعرفة والإيمان والهدى الذي لا سعادة للنفس بدونه البتة فمن أخطأ هذا النور ، أخطأ حظه وكأله وسعادته وصار يتقلب في ظلمات بعضها فوق بعض ، فمدخله ظلمة ، ومخرجه ظلمة ، وقوله ظلمة ، وعمله ظلمة ، وقصده ظلمة ، وهو متخبط في ظلمات طبعه وهواه وجهله ، وقلبه مظلم ، ووجهه مظلم ؛ لأنه يبقى على الظلمة الأصلية ، ولا يناسبه من الأقوال والأعمال والإرادات والعقائد إلا ظلماتها .

غلو أشرق له شيء من نور النبوة لكان بمنزلة إشراق الشمس على بصائر الخفاش ..
بِصَائِرُ أَغْشَاها النَّهَارُ بَعْضُوهَا وَلَأَمَّهَا قَطْعٌ مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمٌ
يكاد نور النبوة يعمى تلك البصائر ويخطفها لشدة وضعفها ، فتهرب إلى الظلمات لموافقتها لها وملاءمتها إياها .

والمؤمن عمله نور ، وقوله نور ، ومدخله نور ، ومخرجه نور ، وقصده نور ، فهو يتقلب في النور في جميع أحواله .

(١) صحيح . الترمذى في الإيمان . باب ما جاء في افتراق هذه الأمة [٢٦٤٢] وأحمد في المسند [١٧٦/٢ ، ١٩٧] والحاكم في المستدرک [٣٠/١] وصحيح الجامع للألبانى [١٧٦٤] . والسلسلة الصحيحة له [١٠٧٦] . والزيادة التي بين المكوّفين استدرکها من كتب الحديث كى يستقيم المعنى ، فبدون هذه الزيادة يصبح المعنى مبتوراً .

قال الله تعالى : ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ، الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ، الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ، نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ ، وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النور : ٣٥] .

ثم ذكر حال الكفار وأعمالهم وتقليبهم في الظلمات فقال : ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَغْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً ، وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ . أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَمْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ، ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ ، إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكِدْ يَرَاهَا ، وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ [النور : ٣٩ ، ٤٠] .

والحمد لله أولاً وآخر وباطناً وظاهراً ، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم الأنبياء وعلى آله وصحبه أجمعين ، وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين . والحمد لله رب العالمين .

تم التحقيق والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

المحقق

محمد علي أبو العباس



== المراجع ==

- ١ - إنجيل برنابا .
- ٢ - إظهار الحق لرحمت الله الهندي .
- ٣ - أسباب النزول للواحدى .
- ٤ - الإحلام بما فى دين النصارى من الفساد والأوهام - للقرطبى .
- ٥ - الله واحد أم ثالث للأستاذ محمد مجدى مرجان .
- ٦ - البداية والنهاية لابن كثير .
- ٧ - تحفة الأريب فى الرد على أهل الصليب لعبد الله الترجمان .
- ٨ - تفسير ابن كثير .
- ٩ - تقريب التهذيب لابن حجر .
- ١٠ - تاريخ الطقات للعجل .
- ١١ - الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية .
- ١٢ - الخريدة النفيسة فى تاريخ الكنيسة (الجزء الأول) بقلم أحد رهبان دير السيدة بزموس فى برية أنبا مقاريوس .
- ١٣ - السيرة النبوية لابن هشام .
- ١٤ - سفراء النبى وكتابه ورسائله د. مختار الوكيل .
- ١٥ - الصحيح المسند من أسباب النزول . المقلب بن هادى الوادعى .
- ١٦ - الضعفاء الكبير للمقلب .
- ١٧ - الضعفاء والمتركون للدارقطنى .
- ١٨ - الطبقات الكبرى لابن سعد .
- ١٩ - العقيدة اليهودية وخطرها على الإنسانية د. سعد الدين صالح .
- ٢٠ - الفصل فى الملل والأهواء والنحل لابن حزم .
- ٢١ - قصص الأنبياء لعبد الوهاب النجار .
- ٢٢ - كتب السنة المختلفة .
- ٢٣ - الكتاب المقدس (طبعة العيد المزمى ١٩٨٣) .
- ٢٤ - لباب المنقول فى أسباب النزول للسيوطى .
- ٢٥ - ماذا يقول الكتاب المقدس عن محمد ﷺ للداعية أحمد ديدات .
- ٢٦ - المهرور الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز لابن عطية الأندلسى .
- ٢٧ - محمد نبى الإسلام فى العروة والإنجيل والقرآن ل محمد عزت الطهطاوى .
- ٢٨ - اختار فى الرد على النصارى للجاحظ .
- ٢٩ - مسألة صلب المسيح بين الحقيقة والافتراء لأحمد ديدات .
- ٣٠ - المسيح إنسان أم إله ل محمد مجدى مرجان .
- ٣١ - معجم البلدان لياقوت الحموى .
- ٣٢ - معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة .
- ٣٣ - المعجم الوسيط .
- ٣٤ - معركة الوجود بين القرآن والتمود د. عبد الستار فتح الله سعيد .
- ٣٥ - الملل والنحل للشهرستانى .
- ٣٦ - من التمود . ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .
- ٣٧ - منظومة الإمام البوصيرى فى الرد على النصارى واليهود .
- ٣٨ - النبوة والأنبياء للصابونى .
- ٣٩ - النصيحة الإيمانية فى قضية الملة النصرانية لنصر بن محمد بن عبد الله .
- ٤٠ - نظرات فى إنجيل برنابا ل محمد على قطب .